
بسم الله الرحمن الرحيم


النبي ومستقبل الدعوة

ISBN 978-9933-489-79-3

9 789933 489793

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ٢٠١٣ : ٢٣٠٨

الرقم الدولي: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٧٩٣

خليفات، مروان، ١٩٧٣ – م.

النبـي صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم ومـستقبل الـدعوة / تـأليف مـروان خليفـات؛ تقـديم محمدعلي الحلـو. - الطبعة الأولى . - كربلاء: العتبـة الحسينية المقدسـة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.

١٢٦ ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية: ١٢٩).

المصادر: ص ١٠٧ – ١١٦.

١ . محمد (ص)، نبي الإسلام، ٥٣ ق. هـ – ١١ هـ . إثبات الخلافة . ٢ . الخلافة شبهات وردود. ٣ . علي بن أبي طالب (ع)، الإمام الأول، ٢٣ ق . هـ . – ٤٠ هـ. إثبات الخلافة. ٤ . الحديث – قنع التدوين. ٥ . السنة النبوية – شبهات وردود. ٦. المستبصرون . ألف. الحلو، محمد علي، ١٩٥٧ – ، مقدم. ب. العنوان.

BP 166.9 .K5936 2014
BP 223.5 .K5936 2014

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

النبي صلى الله عليه وآله ومستقبل الدعوة

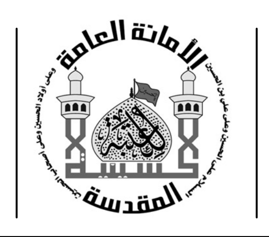
تأليف

مروان خليفات

إصدار
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

مقدمة اللجنة العلمية

لم تنطلق الدعوة النبوية حتى انطلقت معها محاولات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ضمان إلقائها إلى يوم الدين، أي إن الانجاز العملي الذي حققه النبي في دعوته يدعوه إلى ضمان سلامته والإبقاء عليه دون تغيير أو تحريف، ومن حق صاحب الدعوة أن يكون حريصاً على سلامتها من أن تتقاذفها الأهواء، أو تودي بها التنافسات إلى حيث تطيح بها دون ديموميتها واستمرارها، ولا يمكن لأطروحة الإصلاح أن تقتصر على حاضرها دون معالجة مستقبلها، فان دليل النجاح لأي إنجاز هو استمرارية التواصل بين حاضره الموجود ومستقبله المنظور، ومحاولات النبي صلى الله عليه

وآله وسلم، في وصايته لمن يخلفه تنطلق من هذا المنظور الديني بل الإنساني كذلك، فان مقتضى الدين أن تكون الأمانة موصولة إلى ما شاء الله من الزمن، وان الداعي الإنساني يدفعُ باتجاه احترام حقوق الرعية بالحفاظ عليها في يد أفضلها وان التفريط الذي يصيب الدعوة هو تفريط في الحق الإنساني الذي لا يزال النبي صلى الله عليه وآله وسلم حريصاً على سلامته دون المساس بحقوق الآخرين – وهو تشخيص قدر وحجم كل شخص من رعيته ومعرفة قابلياته كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك حريصاً – واستطاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يبرّز أهمية الإمام علي عليه السلام ذلك الخليفة المؤهل لشغل منصب الولاية على المسلمين والإبقاء على الآخرين ضمن طموحات صحبتهم له صلى الله عليه وآله وسلم كما كان أبو بكر وعمر وعثمان وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير أولئك الذين تشرّفوا بصحبته وكان حريصاً أن لا يتجاوز قدر إمكانيتهم وحقوق ممارسة أنشطتهم على أن لا يتجاوز أحدٌ منهم أو من غيرهم من المسلمين حدود الشرعية التي ارتسمت ملامحها في علي ذلك الإمام القائد الإنسان ومن ثم

الخليفة وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أميناً حقاً على أداء الرسالة حتى آخر لحظات حياته الشريفة بل حتى ما بعدها حينما عهد بأمر الرسالة والتبليغ والخلافة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان حريصاً أن يُعلن للملأ في يوم الغدير عن هذه المهمة بأن علياً مولى كل مؤمن ومؤمنة بعده، وكان حريصاً على أن يقدم البديل الأمثل بعد رحيله صلى الله عليه وآله وسلم لإدارة شؤون الأمة والمتمثل في علي عليه السلام ولم يألُ جهداً في بيان هذه الحقائق حتى قرن وصايته له بوصايته للقرآن الكريم فقال:

﴿إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي﴾.

ولم تنجح محاولاته صلى الله عليه وآله وسلم من محاولات العابثين في تغيير مسار الوصاية ومحاولات الإبقاء على القداسة النبوية المتمثلة في الخليفة الشرعي، فكانت مناورات الإطاحة بالشرعية تراود الكثير حتى أنتجت السقيفة وما بعدها لإيقاف المشروع النبوي في الوصاية والخلافة، لكن بقيت محاولات النبي صلى الله عليه وآله وسلم شاهدةً على جهده المبارك في الحرص

على مستقبل الدعوة حتى ظهور الحق بيدي خاتم الأوصياء... والكتاب الذي تطالعه هو لباحث جدير بالثناء والتقدير الذي عرفناه مخلصاً في رسالته كما أخلص في عقيدته ذلكم الباحث المتميز الأستاذ مروان خليفات الذي أظهر الحقائق بتجربته المباركة بعد أن ركب سقيفة النجاة وأبحر في عباب الرحمة والبركات..

السيد محمد علي الحلو

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصل اللهم على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين. أما بعد؛

فمما لا شك فيه أن دراسة السيرة النبوية ومحاولة تلمس النظرة النبوية والتخطيط الإلهي للمستقبل يفتح للمسلم آفاقا كثيرة يتعرف من خلالها على عظمة هذا الدين السماوي، إننا نرى بعض الفلاسفة والعلماء حين يبتكرون نظرية فإنهم يقدمونها للبشرية بعد النظر فيها مرات ومرات لئلا يكون فيها خلل ما، ويسعون لأن تخرج في أجمل صياغة وأحسن أسلوب، ويوفرون لها سبل البقاء والانتشار والدوام، والإسلام العظيم الذي هو دواء لأمراض البشر، قد أعده خالق الكون الحكيم وبلغه رسوله الكريم، ومن المخجل أن يتخيل مرء ينتمي لهذا الدين العيب والنقص فيه أو يعتقده وإن

لم يصرح بذلك، إننا بهذا البحث قد عرضنا نظريتين حول تخطيط النبي لمستقبل أمته والبشرية، إذ إنه صلى الله عليه وآله وسلم مبعوث رحمة للعالمين وهو خاتم النبيين، ومن ينظر لما عرضناه بإنصاف يتجلى له الحق واضحا، ولم يكن هدفنا نصر فريق على آخر، وإنما قمنا باستنطاق النصوص وإثارة العقول لمعرفة أي النظريتين أقرب لروح الإسلام والمنطق، فإن رجحت كفة هذا الفريق أو ذاك فهذا راجع لما يمتلكه من أدلة ونظرة ثاقبة، والله من وراء القصد وهو خير ناصر ومعين.

رحلتي

كانت انطلاقتي مع رزيّة الخميس، وهي ليست رزيّة يوم يسمّى الخميس؛ لان أثرها مازال للآن، ولن يزول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم على فراش مرضه، وفي لحظات الوداع الأخيرة يتوجّه إلى أصحابه الذين امتلأت غرفته بهم ويقول صلى الله عليه وآله وسلم:

«ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»[(١)].

ومن الذي لا يرضى بكلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ ومن لا يحب هذه الهدية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ إنّه الأمان من الضلال والتيه، ولكن ماذا جرى؟! فها هي الأمة منذ ذلك اليوم تائهة ومنقسمة إلى فرق ومذاهب، وقد صارت لعبة بيد الأعداء.

فماذا حدث يا ترى حتى ضلت الأمة؟ ومن الذي حال دون كتابة ذلك الكتاب؟

في صحيح البخاري، تكلم عمر بن الخطاب، فقال: (إنّ النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله)[(٢)].

وفي رواية أخرى: (فقالوا: ما شأنه أهجر؟! استفهموه فذهبوا يردون عليه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المرض، باب قول المريض قوموا عني.

«دعوني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه»[(١)].

وهكذا ضلّت الأمة، وبدأ الانحراف فيها من يوم الخميس ذاك حين رفض عمر وبعض الصحابة طلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وبالرغم من أنني كنت متعلقاً ببعض الشخصيات إلا أنّ هذه الحادثة أوقفتني، وصُدمت عندما بحثت عنها في صحيح البخاري ووجدتها وقد دفعتني لأراجع موروثاتي، وفعلاً كان حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

«ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاّ واحدة في الجنة»[(٢)].

يدور بانتباهة عنيفة في خلدي، لقد فهم عمر أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان سيكتب لهم وصية بكتاب الله وشيئاً آخر اقترن معه دائماً في توصياته صلى الله عليه وآله وسلم، لهذا قال

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته.

(٢) راجع الحديث مثلاً في: مستدرك الحاكم: ج١، ص١٢٨؛ مسند أحمد بن حنبل: ج٢، ص٣٣٢.

فوراً: (حسبنا كتاب الله)، ومعناه يكفينا كتاب الله ولا نريد ذاك الشيء المقارن له، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرن كتاب الله مع أهل بيته دائماً ويوصي الأمة باتباعهما معاً وسيمر علينا هذا خلال البحث، وهذه الواحدة الناجية أشار لها صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون»[(١)].

وحين ضممت حديث: «إني تارك فيكم الخليفتين من بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض»[(٢)].

وحديث: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك»[(٣)].

انكشف لي الأمر واضحاً كالشمس، وكان لي صديقٌ متبعٌ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: ح٧٣١١.

(٢) وهذا ما يعرف بحديث الثقلين وله ألفاظ أخرى، سيأتي بعضها، والرواية السابقة صححها الألباني.

(٣) هذا الحديث صحيح وسيأتي في ثنايا البحث.

لأهل البيت عليهم السلام يشعر بأمري، وكنت قد خجلت من مواجهته، فلي كانت معه جولات وجولات في البحث والنقاش، وكثيراً ما أبت نفسي المعاندة الاعتراف له، ولكن في النهاية وبعد صراع مرير مع ذاتي انضممتُ لصديقي دون أن أُشعره بذلك، وعند ما صارحته بما صرت إليه ـ وبنفس منكسرة ـ فرح ولم يبدِ أية شماتة أو سخرية كنت أتوقعهما، وقال: لقد كنت أدعو لك في كل صلاة.

وهكذا استمرت أمطار رحمة الله بالانهمار عليّ حتى غمرتني، وشعرت بأنني في عالم آخر، في وسط سفينة نوح، تلك السفينة التي مازالت تسير في أبحر الحياة محصَّنةً بالنجاة والأمان.

توطئة

لقد امتازت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن سائر الرسالات السماوية بميزات عدة.

فهي خاتمة الرسالات، قال تعالى:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ... ﴾[1].

وامتازت بأنّها عامة وموجَّهة لجميع الناس، قال تعالى:

﴿... يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ ... ﴾[2].

---

(١) سورة الليل، الآية: ١٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

وقوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

وباقية إلى يوم القيامة.

ومن الطبيعي فإنّ رسالة كهذه لا بدّ أن تنظر لها السماء نظرة خاصة، فتُعدُّ مشروعاً يحفظ بقاءها وسلامتها من التحريف النصّي والدلالي بعد موت صاحبها صلى الله عليه وآله وسلم، ويمكن التعرّف على طبيعة هذا المشروع الإلهي وتكوين مفرداته من خلال الرجوع إلى سنة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الفعليّة والقوليّة.

لا شك أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ميت لكن رسالته باقية، إذن فمن يديم مسيرته المباركة؟ كيف يقيم الله حجته على الناس ويأخذ بيدهم نحو الكمال؟

وبعبارة أوضح: ما هي حقيقة المشروع الإلهي الذي أُعدَّ لهداية الإنسان بعد ختم النبوة؟

ما موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مستقبل الإسلام؟

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

فهل اتَّخذ صلى الله عليه وآله وسلم الترتيبات اللازمة لحفظ رسالته وضمان انتشارها؟

ما موقفه صلى الله عليه وآله وسلم من الكتاب والسنة وهما عهد الله إلى خلقه؟

إنّ الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها قد يكون لها تأثير كبير على حياة الإنسان.

و لو عرضت هذه الأسئلة على المدارس والفرق الإسلامية لكانت أجوبتها متوافقة مع انتماءاتها المذهبيّة، وهذه إحدى مشاكلنا، فنحن ننتمي ثم نجيب ولو على حساب الحقيقة.

ولا أطيل عليك عزيزي القارئ فقد حاولنا قدر الإمكان تجلية تلك الصورة وإبراز حقيقتها المستوحاة من القرآن الكريم والسنة الشريفة.

أجل إنّ هناك نظريات مختلفة حول موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مستقبل دعوته، وأشهر هذه النظريات اثنتان.



النظرية الأولى

هذه النظرية تمثل رأي شريحة كبيرة من المسلمين وهم أهل السنة ـ أشاعرة وسلفية ـ ويتضح موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مستقبل دعوته في الأسطر التالية.

موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن

القرآن دستور الله ومعجزة نبيه الخالدة، فهل جمعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب خاص ليحفظه من الضياع؟

إنّ الناظر في كتب الحديث يرى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوكل أمر القرآن إلى حفظ الصحابة وجمعهم له، فقد كان البعض يحفظ ما نزل منه، وكان آخرون يكتبون بعض سوره في الصحف، ولا تذكر المصادر أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم

اتّخذ موقفاً حاسماً بشأن القرآن فقام بجمعه حسب ترتيب نزوله في كتاب خاص.

أجل؛ هناك قسم من العلماء يذهب إلى أنّ القرآن جُمع على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم: الزرقاني، والزركشي، والباقلاني وغيرهم.

إلاّ أنّ هذا القول يصطدم بروايات جمع القرآن في عهد أبي بكر، فإذا كان القرآن مجموعاً عند بعض الصحابة فلماذا يأمر أبو بكر زيد بن ثابت بجمعه؟!

أخرج البخاري عن زيد بن ثابت، قال: (أرسل إليَّ أبو بكر، مقتل أهل اليمامة ـ أي بعد مقتلهم ـ فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر: إنّ عمر أتاني فقال: إنّ القتل استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإنيّ أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى: أن تأمر بجمع القرآن.

قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!

قال عمر: هذا والله خير.

فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لـذلك، ورأيـت في ذلك الذي رأى عمر...

قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقـل لا نتهمـك وقـد كنـت تكتب الوحي لرسول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم، فتتبـع القـرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلان شـيئاً لـم يفعلـه رسـول الله صـلى الله عليـه وآله وسلم؟

قال: هو والله خير.

فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للـذي شـرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعـت القـرآن أجمعـه مـن العسـب[1]، واللخاف[2]، وصدور الرجال..، حتى وجدت آخر سـورة التوبـة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره! لقـد جـاءكم رسـول

(١) العسب: جمع عسيب وهو جريدة من النخل مستقيمة.

(٢) اللخـاف: حجـارة بيض عريضة رقـاق، واحـدتها لخفـة؛ راجـع لسـان العـرب: ج٩، ص١٩٧؛ وج١٢، ص٢٦١.

من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حتى خاتمة براءة.. فكانت الصحف عند أبي بكر، حتّى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر)[١].

إنّ المتأمل في قول أبي بكر لعمر: «كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)»، وقول زيد لهما: «كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله» يتبين له بوضوح أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يجمع القرآن وإنما جمعه زيد بن ثابت بأمر أبي بكر الذي أقنعه عمر بذلك، وقد جمعه زيد من الصدور والسطور.

قال ابن جزي: (وكان القرآن على عهد رسول الله متفرقاً في الصحف وفي صدور الرجال)[٢].

إنّ هذه الرواية وروايات أُخرى تدّعي أنّ القرآن قد كتب بشهادة شاهدين، وهذه والله أكبر ضربة للقرآن، ومعنى ذلك أنّ القرآن أخبار آحاد.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن: ج٦، ص٣١٤.

(٢) التسهيل: ج١٠، ص٦.

موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من السنة

إنّ الروايات متضاربة حول موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سنته، وأشهر نص يطالعنا رواية النهي عن الكتابة:

أخرج مسلم: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«لا تكتبوا عنّي شيئاً إلاّ القرآن، فمن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه»[١].

هذا نص عام في النهي ووردت روايات في الإذن بالكتابة للبعض كابن عمر[٢]، وأبي شاة[٣].

وعلماء القوم مختلفون حول نسخ النهي في الحديث السابق، فمنهم من يقول بالنسخ، ومنهم من لا يلتزم بذلك[٤].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم.

(٢) راجع: مستدرك الحاكم: ج١، ص١٠٥ ـ ١٠٦؛ مسند أحمد بن حنبل: ج٢، ص١٦٢.

(٣) صحيح البخاري: ج١، ص٤٠ ـ ٤١.

(٤) كالمحدث رشيد رضا حيث قال: (لو فرضنا أن بين أحاديث النهي عن الكتابة والاذن بها تعارضاً يصح أن يكون به أحدهما ناسخاً للآخر، لكان لنا أن نستدل على كون النهي هو المتأخر بأمرين...) راجع: المنار: ج١٠، ص٧٦٦.

وبناءً على ما سبق فإنّ موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سنته أنّه تركها مفرّقة في الصدور دون جمع إن لم نقل أنّه نهى عن تدوينها، وهو موقف بطبيعة الحال سلبيٌّ.

وممّا سبق يظهر لنا تأكيد أهل السنّة على أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترك القرآن مفرقاً في الصدور والسطور ولم يجمعه في كتاب واحد، ونهى عن تدوين سنته أو تركها في صدور الرجال دون جمع أيضاً.

أمّا عن الحوادث المستقبلية المستجدة التي لا حكم لها في الكتاب والسنة، فلا نجد أيَّ نص ـ عندهم ـ يشير إلى كيفية التعامل معها.

مناقشة النظرية الأولى

إنّ الناظر للوهلة الأولى في هذه النظرية يضع حولها مجموعة أسئلة وإشكالات؛ فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مبعوث للعالمين، والإسلام هو خاتم الأديان، وظهوره على باقي الأديان أمر حتمي لا مفر منه، قال تعالى:

﴿...لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ...﴾[١].

والقرآن باق إلى يوم القيامة فهو أبدي ولكل الناس، فكيف يترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم معجزته الخالدة في صدور صحابته وفي العسب واللخاف؟!

إنّ الصحابة راحلون عمّا قريب، وستأتي الأجيال تترى وتترى، فأين ستجد معجزة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتؤمن به ولتعمل بقرآنه؟ هل يبحثون عنه في صدور الصحابة؟ فالصحابة أموات، ولا يمكن القول إنّه كان في ذهن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقوم كل جيل بنقل القرآن عن الجيل الذي سبقه مشافهةً، إذ لا دليل على هذا، وهو يؤدي إلى ضياع القرآن واندراس آياته، وقد وجدنا عبد الله بن مسعود ينكر المعوذتين من القرآن[٢].

وهكذا سيكون مصير السنّة النبوية التي تبيّن مجمل القرآن وتخصّص عامه وتقيّد مطلقه، بل إنّ أمر السنّة في هذه النظرية أخطر من القرآن، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في تصوّرهم لم يكتفِ

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

(٢) فتح الباري: ج٨، ص٦٠٤، وصحّح ابن حجر ذلك.

بعدم كتابة السنة بل نهى ـ على رأي البعض منهم ـ عن تدوينها، وعلى هذا فإنّ تخطيط النبي صلى الله عليه وآله وسلم المستقبلي هو أن تروى السنّة مشافهةً ولا تكتب، ولا يمكن تصوّر هذا، فإذا تصوّرناه في جيل التابعين وتابعي التابعين والجيل الذي بعدهم... فكيف نتصوره الآن لو بقي الأمر على ما كان؟ عمّن نأخذ السنة؟ كم سيبلغ طول السند؟ هل سيتصل السند بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم خلال هذه القرون الأربعة عشر أم لا؟ كيف سيتم الوثوق بهذا العدد الهائل من الرواة؟ وأيُّ كتاب سيتكفّل ببيان أحوالهم لنعرف صدقهم من كذبهم؟

وقد تأتي بعدنا أجيال وأجيال وتتضاعف المسافة بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهنا ألا تزداد المشكلة تعقيداً على تعقيد؟! ومن المعلوم أنّ أنهار الوضع في الحديث النبوي قد فاضت في القرنين الأولين، ولقد وصف الدار قطني هذه الحالة الرهيبة بقوله: (إنّ الحديث الصحيح في الحديث الكذب كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود)[١]!!

---

(١) حياة محمد، لمحمد حسين هيكل: ص ٤١.

وقال حماد بن زيد: (وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة عشر ألف حديث)[١].

وحين أُخذ ابن أبي العوجاء الزنديق ليُضرب عنقه قال: (لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث، أحرّم فيها الحلال وأحلل الحرام)[٢].

ومع ملاحظة هذا الوضع في القرون الأولى فكيف سيكون الوضع في القرون اللاحقة؟

إنّ عدم كتابة السنّة يؤذن بضياعها وتحريفها مع مرور الزمن، يقول ابن الصلاح: (ثمّ إنّه زال ذلك الخلاف ـ أي هل تكتب السنة أم لا ـ وأجمع المسلمون على تسويغ ذلك وإباحته، ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الأخيرة)[٣].

هذه هي النتيجة، وهي توحي بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أخطأ ـ والعياذ بالله ـ بتركه كتابة السنّة، وبعد وفاته

---

(١) النكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر: ص٣٦٤.

(٢) لسان الميزان: ج٤، ص٤٣١.

(٣) مقدمة ابن الصلاح: ص٣٠٢.

صلى الله عليه وآله وسلم أدرك العلماء والأمراء خطورة هذا النهي فخالفوه وأباحوا كتابتها.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله في المدينة أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم: (انظر ما كان من حديث رسول الله أو سنته فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء)[١].

مما يثير الدهشة أن عمر بن الخطاب يخاف ضياع القرآن، فيأمر أبا بكر بجمعه، ويخاف عمر بن عبد العزيز ضياع السنّة فيأمر بكتابتها، فهل كان العمران أشدَّ حرصاً على الإسلام من نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم؟

لقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ مستقبل الإسلام لصحابته وقد كُذب عليه في حياته وتنبأ بأنه ستكثر عليه الكذّابة، فقال:

«من تعمّد عليّ كذباً فليتبوّأ مقعده من النار»[٢].

(١) تدريب الراوي: ج١، ص٤٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فكيف لا يضع الضمانات ـ بتدوين سنته ـ لقطع الطريق على هؤلاء الكذبة؟

يقول أبو الحسن الندوي السلفي: (ثم إنّ الحديث زاخر بالحياة... ولم يزل باعثاً على محاربة الفساد والبدع وحسبة المجتمع، ولم يزل يظهر بتأثيره في كل عصر وبلد من رفع راية الإصلاح والتجديد، وحارب البدع والخرافات والعادات الجاهلية، ودعا إلى الدين الخالص والإسلام الصحيح، لذلك كله كان الحديث من حاجات هذه الأمة الأساسية، وكان لابدّ من تقييده وتسجيله ونشره)[١].

إذا كان الحديث من حاجات هذه الأمة الأساسية، وكان لابدّ من تقييده وتسجيله ونشره، فلماذا لم يَقُمْ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتقييده وتسجيله؟!

ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: (ألا وإني أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«إذا انقطع شسع أحدكم فلا يمش في الأخرى حتى

---

(١) مع رجال الفكر والدعوة: ص٧٨.

يصلحها»[1].

فهل يمكن أن يصدق العقل السوي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهتم بانقطاع الشسع ويترك سنته دون تقييد وتسجيل وهي الدستور الذي جاء به للبشرية؟!

كان حمورابي شخصاً عادياً، ووضع مجموعة قوانين وقبل وفاته كانت مدوّنة حتى صارت مرجعاً بعده لا خلاف في صحتها، وحمورابي ليس نبياً وليس مبعوثاً لقومه ولا لجميع البشر، لكنه اتخذ التحوطات اللازمة لحفظ تلك القوانين، فهل كان حمورابي أكمل وأبعَد نظراً من سيّد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم؟

وفي العصر الحاضر لا نجد دولة إلاّ ولها دستورٌ مدوّنٌ في كتاب، فهل هذه الدول أكثر حضارةً وتنظيراً من دولة الإسلام؟

هذه بعض الإشكالات التي ترد على هذه النظرية.

وقد يردّ علينا أصحابها بقولهم: لقد ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكتاب والسنة دون جمع؛ لأنه كان يعلم أنهما سيجمعان مستقبلاً فتركهما للأمة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب اللباس، باب استحباب لبس النعل في اليمنى أولاً.

وهذا ادّعاء لا دليل عليه، فقد كان الناس يقرأون في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الآية.

﴿...ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...﴾[1].

فالدين كامل وجاهز كي ينتشر في أرجاء المعمورة، ومن مصاديق هذا الكمال كون الكتاب والسنّة مجموعين حتّى ينتشرا في البلاد المفتوحة، فالدين كامل قبل أمر عمر لأبي بكر بجمع القرآن، وقبل ولادة الزهري ومالك والبخاري.

وإضافة لهذا، فإنّ الصحابة ـ وكلّ البشر ـ مكلّفون وليسوا مؤلفين، وليس لهم شأن بجمع الكتاب والسنة لأنهما من عند الله وهو الذي أنزلهما وهو الذي تكفل بحفظ كتابه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2].

ومع هذا سنواصل السير مع أصحاب هذه النظرية ونفترض أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترك الكتاب والسنة دون جمع، لعلمه أن سيجمعان مستقبلاً.

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

فهل هذا الافتراض كاف لإقامة الحجة على الناس؟ وكيف سيتمُّ التعامل مع الكتاب والسنّة؟ كيف سيُعرف الناسخ والمنسوخ، المحكم والمتشابه، الخاص والعام،...؟!

ألا يحتاج القرآن إلى بيان صحيح وترجمة لمعانيه؟ فهل مثل هذا الرأي يتناسب مع كمال الدين وإتمام النعمة؟

إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند هؤلاء لم يضع برنامجاً متكاملاً لكيفية التعامل مع الكتاب والسنة، وهذا ما لا يمكن تصديقه، فهو صلى الله عليه وآله وسلم ذاك الإنسان العظيم ذو النظر الثاقب الذي يرفض أنْ يرى بعين نبوته المستقبل القاتم للأمة وتشتتها وتناحرها، وهو ذلك الحريص الرحيم الذي وصفه الله بأروع وصف:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

فكيف نصدّق أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيّن كيفيّة دخول الحمّام وآدابه الأخرى ولم يشر إلى مفتاح التعامل مع

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

الكتاب والسنة؟

إن عدم وجود برنامج مستقبلي يحفظ الكتاب والسنّة نصّاً ودلالة مدعاة لاختلاف الأمة وتفرقها.

روي عن عبد الوارث بن سعيد أنّه قال: ((قدمت مكة فألفيت بها أبا حنيفة، فقلت له: ما تقول في رجل باع بيعاً وشرط شرطاً؟ فقال: البيع باطل والشرط باطل.

فأتيت ابن أبي ليلى فسألته عن ذلك، فقال: البيع جائز والشرط باطل.

فأتيت ابن شبرمة فسألته عن ذلك، فقال: البيع جائز والشرط جائز.

فقلت في نفسي: سبحان الله! ثلاثة من فقهاء العراق لا يتفقون على مسألة!

فعدت إلى أبي حنيفة فأخبرته بما قال صاحباه، فقال: ما أدري ما قالا لك، حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: نهى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم عن بيع وشرط، فالبيع باطل والشرط باطل.

فعدت إلى ابن أبي ليلى فأخبرته بما قال صاحباه، فقال: ما أدري ما قالا لك، حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: أمرني رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أن اشتري بريرة فأعتقها، البيع جائز والشرط باطل.

قال: فعدت إلى ابن شبرمة فأخبرته بما قال صاحباه، فقال: ما أدري ما قالا لك، حدثني مسعد بن كداح بن محارب بن دثار عن جابر قال: بعث النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بعيراً وشرط حملانه إلى المدينة البيع جائز والشرط جائز!)[١].

وبعد غض النظر عن أمر الكتاب والسنة وجمعهما يعرض لنا إشكال آخر وهو: هل أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحوادث المستجدة وكيفيّة استنباط أحكامها؟

ولربما سيُجاب على ذلك بأنّ هناك القياس والاستحسان وغيرهما من مصادر التشريع، فالعلماء يرجعون إلى هذه المصادر لاستنباط أحكام المسائل المستحدثة.

---

(١) التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين للبطليوسي: ص١١٥ ـ ١١٧.

ويبقى إشكالنا في محله، فمن أين اكتسبت هذه المصادر الصفة الشرعية وصار يعتمد عليها كالكتاب والسنة؟ فهي لم ترد على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم ينزلها الله على نبيه ولم يقس صلى الله عليه وآله وسلم ولم يستحسن، بل كان كما قال الله تعالى:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1].

ولم يكن صلى الله عليه وآله وسلم يرى لرأيه واجتهاده دوراً في التشريع، قال تعالى:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ...﴾[2].

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يحكم بما يريه الله ولم يقل بما رأيته وبما قسته وبما استحسنته.

والملاحظ أنّ مصادر التشريع هذه محلُّ خلاف بين العلماء، فتجد الحنفية قد أفرطوا في الاعتماد على القياس، بعكس الحنابلة الذين لم يعتمدوه إلاّ قليلاً، أمّا أهل الظاهر فقد أنكروه مطلقاً،

(١) سورة النجم، الآية: ٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٥.

وأنكـر الـشافعية والمالكيـة المـصالح المرسـلة، وأنكـر الـشافعي الاستحسان فقد ورد عنه: (من استحسن فقد شرّع)[١].

ولنفتـرض وجـود القيـاس والاستحـسان... مـن ضـمن مـصادر التشريع، ولكن ألا تحتاج هـذه المـصادر إلـى بيـان كامـل لمعالمهـا وكيفية تطبيقها عملياً؟ وقد تقرّر أُصـولياً: أنّـه لا يجـوز تـأخير البيـان عن وقت الحاجة، ووقت الحاجة متحقق بموت النبي صلى الله عليـه وآله وسلم، ومات النبي صلى الله عليه وآله وسـلم ولـم يبـين معـالم هذه المصادر ولم يطبّق بعض الموارد عمليّاً.

إنّ نسبة هذه الرؤية السلبية لمستقبل الإسلام إلـى النبـي صـلى الله عليه وآله وسلم كانت ثغرة نفذ منها بعض الكتاب وطعنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام.

قـال إبـراهيم فـوزي: (كـان المجتمـع الإسـلامي علـى تـوالي العصور خالياً من السلطة التشريعية اللازمـة التـي تـشرّع للنـاس علـى الدوام حاجاتهم الزمنية المستجدة)[٢].

---

(١) جميع كتب الأصول، مبحث الاستحسان.

(٢) تدوين السنّة: ص١٥.

وقال محمود أبو ريّة: (ولو أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد عني بكتابة الحديث، كما عني بكتابة القرآن، وعني الصحابة من بعده بكتابته، لجاءت أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كلها متواترة في لفظها ومعناها، وليس شيء منها اسمه صحيح، ولا شيء اسمه حسن، ولا شيء اسمه ضعيف، ولا غير ذلك من الأسماء التي اخترعوها، مما لم يكن معروفاً زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته، وبذلك كان يرتفع الخلاف في حقيقته، وينحط عن كاهل العلماء أعباء البحث عن صحته، ووضع المؤلفات الكثيرة التي صنفت في علوم الحديث والبحث عن أحوال الرواة من حيث العدالة والضبط والجرح والتعديل وغير ذلك، وكان فقهاء الدين يسيرون على نهج واحد، لا اختلاف بينهم في أصله ولا تباين... إذ تكون أدلتهم كلها متواترة كالقرآن الكريم، فلا يأخذون بما سموه الظن الغالب، الذي فتح أبواب الخلاف وفرّق صفوف الأمة وجعلها مذاهبَ وفرقاً ومما لا يزال أمره بينهم إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم)[1].

---

(١) أضواء على السنّة المحمدية: ص٢١٨.

الحجة الأخيرة

يذهب البعض إلى أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعل أصحابه مرجعية للأجيال من بعده، حيث يقومون بنقل القرآن والسنة لمن بعدهم، وتحيط هذا القول إشكالات كثيرة نشير لواحد منها[(١)].

أخرج البخاري عن أبي وائل، قال: قال عبد الله: قال النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«أنا فَرَطكم على الحوض، ليُرفعنّ إليَّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأنا ولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي ربّ أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[(٢)].

وأخرج مسلم (عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أنا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم، فأقول: يا رب! أصحابي أصحابي».

---

(١) ومن أراد التفضيل فليرجع إلى كتابنا، وركبت السفينة، إشكالات على مرجعية الصحابة: ص١٨٩ ـ ٢٣٦.

(٢) البخاري، كتاب الفتن: ج٩، ص٨٣؛ وكتاب الرقاق، باب في الحوض.

فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)[١].

وفي رواية أُخرى للبخاري يقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: (...إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى)[٢].

هذه الأحاديث صريحة في دخول جماعات من الصحابة في النار، وقد فسرها المفسرون بالمنافقين والمرتدين، وهذا التفسير مخالف لمعطيات الأحاديث[٣].

فعلّة دخول الصحابة في النار هي الإحداث والارتداد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمنافق لا يرتد لأنه لم يسلم أصلاً وإنّما تظاهر بالإسلام، وكذلك لا يذكر لنا التاريخ أي إحداث للمنافقين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أي تحرك لهم[٤]!

---

(١) مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته.

(٢) البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض.

(٣) وقد نقضنا هذا القول مفصلا في كتابنا، قراءة في الأدلة السلفية.

(٤) وهذا أمرٌ ينبغي التأمل فيه مليّاً، فلماذا توقفت مؤامرات المنافقين؟ أكان أبو بكر وعمر أذكى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأوقفاهم عند حدهم وكشفاهم أم أنّ المنافقين حققوا أغراضهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسكتوا؟!!

والقول بأنّهم مرتدون، يرد عليه بأنّ المرتدين لم يحدثوا في دين الله، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «رجال منكم»، «أعرفهم ويعرفونني»[١].

دليل على أنّهم ممن كانوا حول النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أهل مكة والمدينة، وقوله «أقواماً». هودليل على كثرتهم، وهناك رواية تنص على دخول الصحابة النار ولا يبقى منهم إلاّ القليل:

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«بينما أنا قائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، قال: هلم.

قلت: أين؟

قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم»[٢].

---

(١) البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض.

(٢) المصدر نفسه.

قال ابن الأثير: (الهَمَل: ضوالُّ الإبل، واحدها هامل، أي إنّ الناجي منهم قليل في قلة النّعم الضالة)[1].

فهذا نص صريح في دخول الصحابة النار ولا يبقى منهم إلا القليل.

فبعد هذا كيف يمكن قبولهم مرجعية يحفظون لنا الكتاب والسنة وينقلونهما إلى الناس؟ والغريب أنّهم نسبوا أمر اختيارهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أنه يقول:

«فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل هَمَل النعم».

مما سبق يظهر لنا ضعف هذه النظرية التي تزعم بترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن مفرقاً في الصحف والصدور وعدم جمعه للسنة والنهي عن كتابتها وإرجاع الناس إلى صحابته، وحاشا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الموقف السلبي.

---

(١) النهاية في غريب الحديث: ج٥، ص٢٧٤؛ وكذا في لسان العرب: ج١٥، ص١٣٥؛ وقريب منه في فتح الباري: ج١١، ص٣٩٢.



النظرية الثانية

موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإيجابي

إنّ موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإيجابي من دعوته يمرُّ بثلاث مراحل.

المرحلة الأولى: جمع القرآن

حين بدأ نزول القرآن شرع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتدوينه، حيث كان يملي الآيات النازلة على علي بن أبي طالب عليه السلام فيكتبها بخطه:

قال الإمام علي عليه السلام في هذا الشأن:

«فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن إلاّ أقرأنيها وأملاها عليَّ فكتبتها بخطي»[1].

---

(١) الأصول من الكافي، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث.

واستمرت عمليّة جمع القرآن في السطور حتّى آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبتدوين آخر آية كان القرآن مجموعاً في كتاب واحد، وقد كان الصحابة يدونون بعض السور ولكنه كان تدويناً ناقصاً مقارنة بهذا التدوين.

إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قيامه بهذا العمل يكون قد وضع أوّل الضمانات لحفظ دعوته من الضياع والنسيان، ولكنّ هذا ليس كافياً ولا يستطيع الناس معرفة الإسلام من خلال القرآن وحده، لهذا قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخطوة أُخرى.

المرحلة الثانية: تدوين السنة

السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، وقد شرع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتدوينها تزامناً مع جمع القرآن، وكان تدوين السنّة عملاً مشتركاً بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي ابن أبي طالب عليه السلام، حيث كان صلى الله عليه وآله وسلم يملي وعلي عليه السلام يكتب، وبوفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت السنة مجموعة في كتاب أو عدة كتب وقد أودعها

النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته عليهم السلام فكانت عند علي بن أبي طالب عليه السلام.

قالت أم سلمة: (دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأديم وعلي بن أبي طالب عنده، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يملي وعلي يكتب حتى ملأ بطن الأديم وظهره وأكارعه)[١].

وعُرف الكتاب الذي يحوي السنة بالجامعة أو صحيفة علي عليه السلام:

عن أبي بصير قال: (دخلت على أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إني أسألك عن مسألة، ههنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام سترا بينه وبين بيت آخر فأطلع فيه ثم قال:

«يا أبا محمد سل عما بدا لك».

قال: قلت: جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم عليا عليه السلام بابا يفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال:

(١) المحدث الفاصل للرامهرمزي: ص٦٠١.

«يا أبا محمد علم رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام ألف باب يفتح من كل باب ألف باب».

قال: قلت: هذا والله العلم، قال: فنكت ساعة في الأرض ثم قال:

«إنه لعلم وما هو بذاك».

قال: ثم قال:

«يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟».

قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال:

«صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش».

وضرب بيده إليّ فقال:

«تأذن لي يا أبا محمد؟».

قال: قلت: جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال:

«حتى أرش هذا. كأنه مغضب.».

قال: قلت: هذا والله العلم قال:

«إنه لعلم وليس بذاك».

ثم سكت ساعة، ثم قال:

«وإن عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟».

قال قلت: وما الجفر؟ قال:

«وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل».

قال: قلت: إن هذا هو العلم، قال:

«إنه لعلم وليس بذاك».

ثم سكت ساعة ثم قال:

«وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟».

قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال:

«مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه

من قرآنكم حرف واحد».

قال: قلت: هذا والله العلم قال:

«إنه لعلم وما هو بذاك».

ثم سكت ساعة ثم قال:

«إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة»...)[١].

قال حاجي خليفة نقلا عن ابن طلحة: (الجفر والجامعة كتابان جليلان أحدهما ذكره الإمام علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ وهو يخطب بالكوفة على المنبر والآخر اسره رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وأمره بتدوينه فكتبه علي حروفا متفرقة على طريقة سفر آدم في جفر يعنى في رق قد صبغ من جلد البعير فاشتهر بين الناس به لأنه وجد فيه ما جرى للأولين والآخرين)[٢].

وهذا الكتاب الذي عُرِف بالجامعة من أكبر الكتب التي كانت بحوزة آل البيت عليهم السلام ونقل عنها غير واحد من علماء

(١) الكافي للكليني: ج١، ص٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٢) كشف الظنون: ج١، ص٥٩١.

أهل السنة أمثال: ابن سعد في آخر كتابه الجامع.

البخاري، ذكرها في ثمانية مواضع من الصحيح، ورواها بثمان طرق.

الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، جمع ما نقل عنها في كتاب مستقل عنونه بـ(صحيفة علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: دراسة توثيقية فقهية)[١].

وبالرغم من ذِكْر الكتب السنيّة لصحيفة علي عليه السلام إلاّ أنّها لم تعطها حقّها من البيان، بل قد يكون هذا البيان اليسير لصحيفة علي عليه السلام فيه ظلم وتزوير لأسباب سياسية وأخرى مذهبية، ولنأخذ هذه الرواية التي رواها البخاري ونقف عندها قليلاً:

أخرج البخاري عن أبي جحيفة، قال: (قلت لعلي ـ عليه السلام ـ: هل عندكم كتابٌ؟ قال:

«لا، إلاّ كتاب الله، أو فَهْمٌ أعطيه رجلٌ، أو ما في هذه الصحيفة».

قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال:

---

(١) تاريخ التشريع الإسلامي للدكتور عبد الهادي الفضلي: ص٣٥.

«العقلُ، وفكاك الأسير، ولا يُقتلُ مسلمٌ بكافر»[١].

يفهم من هذه الرواية وروايات أخرى لم نذكرها أنّه كان هناك تساؤلٌ يدور بين الناس حول أهمية وحقيقة امتلاك آل البيت عليهم السلام كتاباً خاصاً أم لا، مما دعا أبا جحيفة أن يسأل علياً عليه السلام: (هل عندكم كتاب؟ وأجابه الإمام أنّه عندهم صحيفة فضلاً عن كتاب الله).

وقد وصفت الرواية الصحيفة بشكل فيه تنقيص لأمير المؤمنين عليه السلام.

فلماذا يحمل علي عليه السلام صحيفة فيها هذه المسائل الثلاث؟ وما الحكمة من ذلك؟ والواقع أنّه كانت عنده عليه السلام صحيفة كبيرة.

وفي أحاديث أهل البيت عليهم السلام وصف دقيق لهذه الصحيفة:

روى أبو الحسن ابن بابويه، بسنده، (عن الإمام الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال:

---

(١) صحيح البخاري كتاب العلم، باب كتابة العلم.

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام: أكتب ما أملي عليك.

فقال: يا نبي الله، وتخاف عليّ النسيان؟

فقال: لستُ أخاف عليك النسيان، وقد دعوت الله لك أن يحفظك ولا يُنسيك، ولكن، أكتب لشُركائك.

قال: قلت: ومن شُركائي، يا نبي الله؟

قال: الأئمة من وُلدك...»[1].

وعن عذافر الصيرفي، قال: (كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام فجعل يسأله، وكان أبو جعفر عليه السلام له مكرماً، فاختلفا في شيء.

فقال أبو جعفر عليه السلام:

«يا بني قم فأخرج كتاب علي عليه السلام».

فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، ففتحه، وجعل ينظر حتّى أخرج المسألة.

---

(١) بصائر الدرجات للصفّار: ص١٨٧.

فقال أبو جعفر عليه السلام:

«هذا خط علي عليه السلام وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

وأقبل على الحكم، وقال: يا أبا محمّد اذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالاً فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبريل عليه السلام)[1].

قالت أم سلمة: (دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأديم وعلي بن أبي طالب عنده، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يملي وعلي يكتب حتى ملأ بطن الأديم وظهره وأكارعه)[2].

وبتدوين النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسنته يكون قد وضع الضمان الثاني لحفظ دعوته، ولكنّ جمع القرآن وتدوين السنّة لا يكفي لحفظ الدعوة، فتركه القرآن والسنة بأيدي الأمة مدعاة للاختلاف والفرقة، فالأمة لا تستطيع بيان القرآن والسنة وتوضيح

---

(١) فهرست النجاشي: ج٢، ص٢٦١؛ وسائل الشيعة: ج١، ص٦٢.

(٢) المحدث الفاصل للرامهرمزي: ص٦٠١.

دلالتهما بياناً قائماً على الجزم واليقين، وحديث (اختلاف أمتي رحمة) الذي قد يحتج علينا البعض فيه، حديث كما يقول الألباني لا أصل له، فقد قال فيه: (لا أصل له، ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا له على سند فلم يوفّقوا...).

ونقل المناوي عن السبكي أنه قال: (وليس بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف) وأقرّه الشيخ زكريا الأنصاري في تعليقه على تفسير البيضاوي (ق٢/٩٢))[١].

وقال فيه ابن حزم: (باطل مكذوب)[٢].

فكما أنّ حكم الله كان واحداً في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكذا يجب أن يكون بعد مماته، وكما أنّ الناس كانوا يرجعون لشخص النبي لحل مشاكلهم ومسائلهم الدينية فكذا يجب أن يخلف النبي من ينوب عنه ويقوم بمهامه ـ ما عدا الوحي ـ ويرجع الناس إليه ويبقى حكم الله واحداً، ومن أجل تحقيق هذا الهدف اتخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطوة ثالثة.

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة: ج١، ص٧٦، ح٥٧.

(٢) الأحكام في أصول الأحكام: ج٥، ص٦١.

المرحلة الثالثة: إعلان مرجعية آل البيت عليهم السلام

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشعر بدنو أجله وأحسّ المسلمون بذلك في حجة الوداع، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أن الكتاب والسنة دون مبين لهما غير كافيين لمواصلة المسيرة المباركة التي ابتدأها، لذلك أعلن في حجة الوداع على مرأى ومسمع الألوف من الحجّاج مرجعية أهل البيت عليهم السلام الفكرية والسياسية[١].

وقد نقل لنا مسلم هذه الوصية التاريخية في صحيحه وبعدة طرق: قال زيد بن أرقم ـ أحد رواة الحديث ـ : (قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فينا خطيباً بماء يُدعى خُمّاً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّر، ثم قال:

«أمّا بعد ألا أيُّها الناسُ فإنّما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي

(١) ونعني بأهل البيت إضافة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والزهراء عليها السلام الأئمة الاثني عشر عليهم السلام أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام ثم الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وآخرهم المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، لمزيد من التفصيل انظر كتابنا: وركبت السفينة: ص٥٣٣ ـ ٥٩٦.

رسول ربّي فأُجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به».

فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ثمّ قال:

«وأهلُ بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[(١)].

وفي صحيح الترمذي ومستدرك الحاكم ـ وصححه ـ:

«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[(٢)].

لقد روى هذا الحديث عن النبي خمسة وثلاثون صحابياً،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) صحيح الترمذي: ج٥، كتاب المناقب، ص٦٦٣، ح٣٧٨٨؛ المستدرك على الصحيحن: ج٣، ص١٤٨.

وعده البعض من الأحاديث المتواترة، قال الشيخ أبو المنذر سامي المصري في كتابه: (الزهرة العطرة في حديث العترة) البحث الثالث: (وبعد ثبوت حديث العترة المطهرة عن سبعة من صحابة سيدنا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، ومن أكثر من ثلاثين طريقاً، وصحته التي لا مجال للشك فيها، وما علمناه من معنى التواتر والمتواتر، وشروط المتواتر، وأقسام المتواتر، وعدد نقلة المتواتر، وصفة نقلة المتواتر، وإفادة المتواتر، يمكننا أن نقول: إن حديث العترة المطهرة قد بلغ حد التواتر، وان تواتره معنوي كما نقلنا، وهذا فضلا عن أن لفظ: الكتاب والعترة، ما تخلّف في نص مما سبق، فيكون ـ حسب كلام السيوطي ـ هذا القدر المشترك من الحديث ـ كتاب الله وعترتي ـ متواتر قطعا)).

وصحّحه كثير من علماء الحديث، منهم: الحاكم في المستدرك، الذهبي في تلخيص المستدرك، الهيثمي في مجمع الزوائد، وابن كثير في تاريخه، والسيوطي في الجامع الصغير، وابن تيمية ذكره في منهاج السنة عدّة مرات، وبالرغم من تعصبه المقيت ومحاولة صرف الحديث لظاهر معناه إلا أنه احتج بلفظ الترمذي

على حجية إجماع العترة، وصححه من المعاصرين الألباني المحدّث السلفي، إذ خرجه تخريجا كاملا ورد على من حاول الطعن به، إذ قال: (أخرجه الترمذي: ج٢، ص٣٠٨؛ والطبراني: ح ٢٦٨٠)، عن زيد بن الحسن الأنماطي عن جعفر عن أبيه عن جابر ابن عبد الله قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم في حجته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: (فذكره، وقال: (حديث حسن غريب من هذا الوجه، وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان وغير واحد من أهل العلم).

قلت: قال أبو حاتم، منكر الحديث، وذكره ابن حبان في (الثقات)، وقال الحافظ: (ضعيف).

قلت: لكن الحديث صحيح، فإن له شاهدا من حديث زيد بن أرقم قال: (قام رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى (خما) بين مكة والمدينة، فحمد الله، وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال:

«أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما

كتاب الله، فيه الهدى والنور (من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضل)، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به».

فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال:

«وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»)[1].

ثم أخرج أحمد والطبراني والطحاوي من طريق علي بن ربيعة قال: (لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده، فقلت له: أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

إني تارك فيكم الثقلين (كتاب الله وعترتي)»؟ قال: نعم، وإسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح)[2].

---

(١) أخرجه مسلم: ج٧، ص١٢٢ ــ ١٢٣؛ والطحاوي في مشكل الآثار: ج٤، ص٣٦٨؛ وأحمد: ج٤، ص٣٦٦ ـ ٣٦٧؛ وابن أبي عاصم في السنة: ص١٥٥٠ ـ ١٥٥١؛ والطبراني: ح٥٠٢٦؛ من طريق يزيد بن حيان التميمي عنه.

(٢) أخرج أحمد: ج٤، ص٣٧١؛ والطبراني: ح٥٠٤٠؛ وله طرق أخرى عند الطبراني: ح٤٩٦٩، وح٤٩٧١، وح٤٩٨٠، وح٤٩٨٢؛ وبعضها عند الحاكم: ج٣، ص١٠٩، وص١٤٨، وص٥٣٣)، وصحح هو والذهبي بعضها.

و شاهد آخر من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعا: (إني أوشك أن أدعى فأجيب، و) إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي، الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض[(١)].

و ابن عباس عند الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي. وعمرو بن عوف عند ابن عبد البر في جامع بيان العلم: ج٢، ص٢٤، وص ١١٠.

و هي وإن كانت مفرداتها لا تخلو من ضعف، فبعضها يقوي بعضا، وخيرها حديث ابن عباس، ثم وجدت له شاهدا قويا من حديث علي مرفوعا به. أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار من طريق أبي عامر العقدي: حدثنا يزيد بن كثير عن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن علي مرفوعا بلفظ: (... كتاب الله بأيديكم، وأهل بيتي).

---

(١) أخرجه أحمد: ج٣، ص١٤، وص١٧، وص٢٦، وص ٥٩؛ وابن أبي عاصم: ص١٥٥٣، وص١٥٥٥؛ والطبراني: ح٢٦٧٨، وح٢٦٧٩؛ والديلمي: ج٢، ص١، ح٤٥؛ وهو إسناد حسن في الشواهد. وله شواهد أخرى من حديث أبي هريرة عند الدار قطني: ص٥٢٩؛ والحاكم: ج١، ص٩٣؛ والخطيب في الفقيه والمتفقه: ٥٦ / ١.

ورجاله ثقات غير يزيد بن كثير فلم أعرفه، وغالب الظن أنه محرف على الطابع أو الناسخ. والله أعلم[١].

ثم خطر في البال أنه لعله انقلب على أحدهم، وأن الصواب كثير بن زيد، ثم تأكدت من ذلك بعد أن رجعت إلى كتب الرجال، فوجدتهم ذكروه في شيوخ عامر العقدي، وفي الرواة عن محمد بن عمر بن علي، فالحمد لله على توفيقه.

ثم ازددت تأكدا حين رأيته على الصواب عند ابن أبي عاصم (١٥٥٨).

وشاهد آخر يرويه شريك عن الركين بن الربيع عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت مرفوعا به[٢].

و هذا إسناد حسن في الشواهد والمتابعات، وقال الهيثمي[٣] أيضا، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ورجاله ثقات!

---

(١) مشكل الآثار: ج٢، ص٣٠٧.

(٢) أخرجه أحمد: ج٥، ص١٨١ ـ ١٨٩؛ وابن أبي عاصم: ص١٥٤٨ ـ ١٥٤٩؛ المعجم الكبير للطبراني: ص٤٩٢١ ـ ٤٩٢٣.

(٣) مجمع الزوائد: ج١، ص١٧٠

وقال في موضع آخر[١]: رواه أحمد، وإسناده جيد!

بعد تخريج هذا الحديث بزمن بعيد، كان علي أن أهاجر من دمشق إلى عمان، ثم أن أسافر منها إلى الإمارات العربية، أوائل سنة (١٤٠٢) هجرية، فلقيت في (قطر) بعض الأساتذة والدكاترة الطيبين، فأهدى إليّ أحدهم رسالة له مطبوعة في تضعيف هذا الحديث، فلما قرأتها تبيّن لي أنه حديث عهد بهذه الصناعة، وذلك من ناحيتين ذكرتهما له.

الأولى: أنه اقتصر في تخريجه على بعض المصادر المطبوعة المتداولة، ولذلك قصر تقصيرا فاحشا في تحقيق الكلام عليه، وفاته كثير من الطرق والأسانيد التي هي بذاتها صحيحة أو حسنة فضلا عن الشواهد والمتابعات، كما يبدو لكل ناظر يقابل تخريجه بما خرجته هنا.. .

الثانية: أنه لم يلتفت إلى أقوال المصححين للحديث من العلماء ولا إلى قاعدتهم التي ذكروها في (مصطلح الحديث): أن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة الطرق، فوقع في هذا الخطأ الفادح

---

(١) المعجم الكبير: ج٩، ص١٦٣.

من تضعيف الحديث الصحيح.

و كان قد نمى إليّ قبل الالتقاء به واطلاعي على رسالته أن أحد الدكاترة في (الكويت) يضعف هذا الحديث، وتأكدت من ذلك حين جاءني خطاب من أحد الإخوة هناك، يستدرك عليّ إيرادي الحديث في (صحيح الجامع الصغير) بالأرقام (٢٤٥٣ و٢٤٥٤ و٢٧٤٥ و٧٧٥٤) لأن الدكتور المشار إليه قد ضعفه، وأن هذا استغرب مني تصحيحه!

ويرجو الأخ المشار إليه أن أعيد النظر في تحقيق هذا الحديث، وقد فعلت ذلك احتياطيا، فلعله يجد فيه ما يدله على خطأ الدكتور، وخطئه هو في استرواحه واعتماده عليه، وعدم تنبهه للفرق بين ناشئ في هذا العلم، ومتمكن فيه، وهي غفلة أصابت كثيرا من الناس الذين يتبعون كل من كتب في هذا المجال، وليست له قدم راسخة فيه. والله المستعان)[١]، وصححه المحقق السيد حسن السقّاف[٢].

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج٤، ص٣٥٥، رقم الحديث ١٧٦١.

(٢) صحيح صفة صلاة النبي: ص٢٨٩.

مناورة ابن تيمية

وبالرغم من أنّ الحديث صريح في وجوب إتباع الثقلين معاً الكتاب وأهل البيت عليهم السلام، إلاّ أنّ البعض ـ كابن تيمية ـ شكك فيه وعندما اصطدم برواية مسلم قال: (الحديث الذي في مسلم إذا كان النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قد قاله!! فليس فيه إلاّ الوصيّة بإتباع الكتاب، وهو لم يأمر بإتّباع العترة، ولكن قال: «أذكركم الله في أهل بيتي»)[1].

من الطبيعي إنّ الذي يعتصر مخيلته ليصرف أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته عليهم السلام عن معانيها يقع في هذه المطبات، فإذا كان الأمر مجرد تذكير، فلماذا يقرنهم بالقرآن فيقول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ:

«إني تارك فيكم الثقلين» و«لن يفترقا» و«حتّى يردا»؟

وقد أسعفنا الألباني برواية صحّحها، ترد على ابن تيمية وكل من كرر كلامه، فعن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه

(١) منهاج السنة: ج٤، ص٨٥.

ـ وآله ـ وسلم:

«إني تارك فيكم الخليفتين من بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتّى يردا عليَّ الحوض»[1].

ثم إن ابن تيمية ناقض نفسه واحتج بحديث الثقلين على حجية إجماع العترة! إذ قال: إن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال عن عترته: إنها والكتاب لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، وهو الصادق المصدوق فيدل على أن إجماع العترة حجة، وهذا قول طائفة من أصحابنا)[2].

وقال في موضع آخر: (وقد تنازع العلماء من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم في إجماع الخلفاء وفى إجماع العترة هل هو حجة يجب إتباعها والصحيح أن كلاهما حجة فإن النبي قال: (عليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ).

(١) السنة لابن أبي عاصم: ص٣٣٧، رقم الحديث٧٥٤؛ مسند أحمد بن حنبل: ج٥، ص١٨٢.

(٢) منهاج السنة النبوية: ج٧، ص٣٩٥.

(وهذا حديث صحيح في السنن، وقال صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«أنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»

رواه الترمذى وحسنه وفيه نظر)[1].

حديث كتاب الله وسنتي

هذا الحديث المشهور على الألسن غير صحيح، وقد ورد في موطأ مالك (كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر) وسيرة ابن هشام : ٢٥١/٤ بدون إسناد!

وذكره الحاكم في" المستدرك: ٩٣/١، بسند فيه ابن أبي أويس، وهذه ترجمته:

قال ـ فيه ـ النسائي: ضعيف، وقال الدار قطني: لا أختاره في الصحيح ...، وقال ابن عدي: قال أحمد بن أبي يحيى: سمعت ابن معين يقول: هو وأبوه يسرقان الحديث.

وقال الدولابي في الضعفاء: سمعت النضر بن سلمة المروزي

(١) مجموع الفتاوى: ج٢٨، ص٤٩٣.

يقول: كذاب، كان يحدث عن مالك بمسائل ابن وهب.

وقال العقيلي: حدثني أسامة الدقاق بصرى: سمعت يحيى بن معين يقول: إسماعيل بن أبي أويس لا يساوي فلسين[١].

قال ابن حجر: (وقال اللالكائي: بالغ النسائي في الكلام عليه إلى أن يؤدي إلى تركه ولعله بان له ما لم يبن لغيره لأن كلام هؤلاء كلهم يؤول إلى انه ضعيف؛ وقال ابن عدي: روى عن خاله أحاديث غرائب لا يتابعه عليها أحد...؛ وقال ابن حزم في المحلى: قال أبو الفتح الأزدي: حدثني سيف بن محمد أن ابن أبي أويس كان يضع الحديث)[٢].

وقد احتج الشيخان بابن أبي أويس، وهذا لا يعني صحة حديثه هذا.

قال ابن حجر: (وأما الشيخان فلا يظن بهما أنهما أخرجا عنه إلا الصحيح من حديثه! الذي شارك فيه الثقات)[٣].

---

(١) ميزان الاعتدال: ج١، ص٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٢) تهذيب التهذيب: ج١، ص٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٣) تهذيب التهذيب: ج١، ص٢٧٣.

ولم يصحح الحاكم الحديث بالرغم من تساهله، وبالرغم من جلبه شاهدا له (٩٣/١) وهو:

أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه أنبأ محمد بن عيسى بن السكن الواسطي ثنا داود بن عمرو الضبي ثنا صالح بن موسى الطلحي عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح عن أبي هريرة ... وفيه صالح بن موسى الطلحي.

قال ابن حجر: (قال ابن معين: ليس بشيء.

وقال أيضا: صالح وإسحاق ابنا موسى ليسا بشيء ولا يكتب حديثهما.

وقال هاشم عن ابن معين: ليس بثقة.

وقال الجوزجاني: ضعيف الحديث على حسنه.

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: ضعيف الحديث، منكر الحديث جدا، كثير المناكير عن الثقات...

وقال البخاري: منكر الحديث عن سهيل بن أبي صالح.

وقال النسائي: لا يكتب حديثه، ضعيف.

وقال في موضع آخر: متروك الحديث...

وقال أبو نعيم: متروك، يروي المناكير[١].

وقال الذهبي فيه: (كوفي ضعيف...)[٢].

وروى الحديث البيهقي [٣]وابن حزم[٤] بإسنادين: الأول فيه ابن أبي أويس والثاني فيه: صالح بن موسى الطلحي، وقد مر الكلام فيهما.

وروى ابن عبد البر الحديث بإسناد فيه صالح بن موسى الطلحي[٥].

ووصل ابن عبد البر رواية مالك المرسلة من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده[٦].

---

(١) تهذيب التهذيب: ج٤، ص٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٢) ميزان الاعتدال: ج٢، ص٣٠١ ـ ٣٠٢.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي: ج١٠، ص١١٤.

(٤) الإحكام لابن حزم: ج٦، ص٢٤٣.

(٥) التمهيد لابن عبد البر: ج٢٤، ص٣٣٢.

(٦) التمهيد لابن عبد البر: ج٢٤، ص٣٣١.

وروى الحديث بسند فيه كثير بن عبد الله[١].

قال عنه ابن معين: ليس بشيء.

وقال الشافعي وأبو داود: ركن من أركان الكذب، وضرب أحمد على حديثه.

وقال الدار قطني وغيره: متروك، وقال أبو حاتم: ليس بالمتين، وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال مطرف بن عبد الله المدني: رأيته، وكان كثير الخصومة، لم يكن أحد من أصحابنا يأخذ منه... وقال ابن حبان: له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة... وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه...)[٢].

وقال فيه ابن حجر: (ضعيف من السابعة، منهم من ينسبه إلى الكذب)[٣].

قال أبو طالب عن أحمد منكر الحديث، ليس بشيء، وقال

---

(١) جامع بيان العلم: ج٢، ص٩٧٩.

(٢) ميزان الاعتدال: ج٣، ص٤٠٦ ـ ٤٠٧.

(٣) تقريب التهذيب لابن حجر: ج٢، ص١٣٢.

عبد الله بن أحمد: ضرب أبي على حديث كثير بن عبد الله في المسند وقال أبو خيثمة: قال لي أحمد:

لا تحدث عنه شيئا... .

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عنه فقال: واهي الحديث ليس بقوي... .

قلت: وقال أبو نعيم: ضعفه علي بن المديني، وقال ابن سعد: كان قليل الحديث يستضعف...)[١].

وروى الحديث المذكور أبو بكر الشافعي[٢] وأبو القاسم اللالكائي[٣] وفي كلا السندين صالح بن موسى الطلحي.

ورواه الخطيب البغدادي بسند فيه سيف بن عمر وهو زنديق لا يحتج به، وبسند آخر فيه الطلحي المذكور[٤].

فهذه أسانيد الحديث وهؤلاء رواته، وجاء العلماء من بعدهم

---

(١) تهذيب التهذيب: ج٨، ص٣٧٧ ـ ٣٧٨.

(٢) الغيلانيات لأبي بكر الشافعي: ج١، ص٥١٠

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: ج١، ص٧٦.

(٤) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي: ج١، ص٣٠٦.

ونقلوه عنهم في كتبهم: كالبغوي[١]، وابن الأثير[٢]، والخطيب التبريزي[٣]، والسيوطي[٤]، والمتقي الهندي[٥].

وقد ضعف الحديث أكثر من واحد من أهل الشأن منهم:

١. أحمد سعد حمدون، قال: (سنده ضعيف فيه صالح بن موسى الطلحي...)[٦].

٢. حلمي كامل أسعد، قال في تعليقه على (الغيلانيات: ج١، ص٥١٠): (إسناده ضعيف جدا).

٣. قال فواز أحمد زمرلي في تعليقه على (عقائد أئمة السلف): (قلت: سنده ضعيف جدا).

٤. الشيخ محمد الأمين في ملتقى أهل الحديث في الشبكة العنكبوتية.

---

(١) مصابيح السنة: ج٢، ص٢٣٩

(٢) جامع الأصول من أحاديث الرسول: ج١، ص٢٧٧، عن الموطأ.

(٣) مشكاة المصابيح: ج١، ص٥٣، عن الموطأ.

(٤) الجامع الصغير: ج١، ص٥٠٥.

(٥) كنز العمال: ج١، ص١٧٣، نقلا عن المستدرك.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ص٨،تخريج أحمد سعد حمدون.

٥. الشيخ حاتم الشريف، قال في موقع الإسلام اليوم الإلكتروني، حيث قال: (الحديث المذكور أورده الإمام مالك في الموطأ بلاغاً (معلقاً) غير متصل، رقم (٢٦١٨)، ووصله بعض أهل العلم من طرق لا تصح، وليس في طرقه ما يُقوي بعضها...).

٦. ذهب حسن السقاف إلى أن هذا الحديث موضوع (صحيح صفة صلاة النبي: ص٢٨٩)، على أن هناك إشكالات عديدة ترد على صيغة حديث (كتاب الله وسنتي).

ـ فالروايات تذكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هذا الحديث في حجة الوداع، والملاحظ أنه حضر مع النبي أكثر من مائة ألف إنسان، ومع هذا لم يرو الحديث إلا ابن عباس وأبو هريرة، إن الوصية بالكتاب والسنة كضمان للأمة من الضلال ــ إن صحت ـ فهي عظيمة، فلمَ لا يروي هذه الوصية إلا اثنان من أولئك المائة ألف؟!!

ـ إن أصحاب الصحاح الستة بما فيهم البخاري ومسلم لم يرووا هذا الحديث، وبالرغم من أن البخاري أفرد بابا في صحيحه بعنوان: باب الاعتصام بالكتاب والسنة، إلا أنه لم يورد هذا الحديث،

مع العلم أنه أنسب حديث في الباب، والغريب أن البخاري اختار صحيحه من مائة ألف حديث صحيح كانت لديه، فلِمَ لم يختر هذا الحديث المهم؟!!

ـ إن إمام السلفية أحمد بن حنبل وهو الداعي الأول لاتباع النصوص لم يرو هذا الحديث في مسنده بالرغم من اطلاعه على ستمائة ألف حديث صحيح!!

ومن يراجع كتب أئمة السلفية: ابن تيمية وابن القيم ومحمد ابن عبد الوهاب مثلا لا يجد للحديث أي ذكر، وهذا كله يدل على عدم اعتناء هؤلاء بالحديث بالرغم من حاجتهم الماسة إليه.

ـ كيف يصح هذا الحديث فيأمر النبي الناس بالرجوع إلى سنته مع عدم تدوينه لها ومع نهيه عن كتابتها كما في حديث مسلم؟

وأين يجد الآخرون من غير الصحابة سنة النبي؟ هل يرجعون إلى الصحابة؟ ولا يمكن هذا فهم ليسوا مخلدين، كما إن إرجاع الناس إلى صحابته يؤدي لتضييع السنة، فهو صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أن صحابته عرضة للموت في أي لحظة وخاصة في ساحات القتال، فكيف يودع سنته عندهم؟! كيف يودعها عندهم

وفيهم منافقون لا يعلمهم إلا الله؟

ـ من الثابت أن عمر رد على رسول الله حين أمر صلى الله عليه وآله وسلم بإحضار كتف ودواة ليكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده أبدا، وكان رده: حسبنا كتاب الله، فلماذا لم يذكر (وسنتي) وهي لا تشكل تحديا له، إن صح الحديث فلا شك أن عمر هو أول من رفض العمل بمقولة وسنتي!

ـ على افتراض صحة الحديث فقد قامت سياسة الخلفاء على منع التحدث عن النبي ومعاقبة من يفعل ذلك وحرق سننه المجموعة، فكيف يترك النبي سنته ضمانا للأمة من الضلال فيعمد الخلفاء إلى إخفائها ومنع التحدث بها؟

ـ إن التمسك بالكتاب والسنة غير كاف للأمن من الضلال، فأغلب الفرق الإسلامية تدعي تمسكها بالكتاب والسنة بطريق أو بآخر ومع ذلك فهي مختلفة وتائهة.

لا شك أن السنة مصدر أساسي من مصادر التشريع، ولكن هل (الكتاب والسنة) هما سبيل نجاة الأمة الذي تركه النبي للناس؟

قد بينا ضعف هذا القول، وللفريق الذي يصر على تصحيح

حديث ″ كتاب الله وسنتي″ دون مستند صحيح يقال:

لو افترضنا صحة حديث (كتاب الله وسنتي) فيمكن الجمع بينه وبين حديث ″كتاب الله وعترتي (فيكون النبي قد ترك لنا الكتاب والسنة والعترة)، فتكون السنة عند الأئمة من العترة وهو ما يقوله الإمامية! قال الشيخ الدكتور رجب ديب: (فالمسلمون مأمورون بشكل صريح باتباع كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وآل بيته...) من تقديمه لكتاب فقه الآل بين دعوى الإهمال وتهمة الانتحال[1].

وفي رواية (قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي:

«...وأنت أخي ووارثي ».

قال ـ عليه السلام ـ:

«ما أرث منك يا نبي الله؟».

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ:

«ما ورث الأنبياء قبلي».

---

(١) الشيخ أمين بن صالح هران الحداء: ص٧.

قال ـ عليه السلام ـ:

«وما ورث الأنبياء قبلك؟».

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ:

«كتاب الله وسنة نبيهم»)[1].

وجاء (في مسند زيد بن علي:

«يا أيها الناس إنّي خلفت فيكم كتاب الله وسنتي وعترتي أهل بيتي»[2].

قال ابن حجر: (وفي رواية كتاب الله وسنتي، وهي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب لأن السنة مبينة فأغنى ذكره عن ذكرها، والحاصل أن الحث وقع على التمسك بالكتاب والسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة)[3].

ولو افترضنا صحة حديث (كتاب الله وسنتي) فهو قاض باتباع

---

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ج٢، ص٦٦٦.

(٢) مسند زيد بن علي: ص٤٠٤.

(٣) الصواعق المحرقة لابن حجر: ج٢، ص٤٣٩.

أئمة أهل البيت، لأن حديث (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) من سنة النبي التي يجب اتباعها!

وهكذا اتضح الحق مبيناً لكل ذي بصيرة لم ينخرها العناد بالفساد.

حديث السفينة

ونصُّه:

«مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك».

روى هذا الحديث ثمانية من الصحابة، وصححه كل من: الحاكم في المستدرك[1]، والسيوطي في نهاية الافصال في تشريف الآل[2]، والطيبي في شرح المشكاة، وابن حجر الشافعي حيث قال: (جاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً...)[3].

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٢، ص٣٤٣، وج٣، ص١٥١.

(٢) خلاصة عبقات الأنوار: ص٤٣.

(٣) الصواعق المحرقة: ص١٥٠.

وصححه محمد بن يوسف المالكي المعروف بالكافي حيث قال بعد كلام له: (ويدلك على ذلك): الحديث المشهور المتفق على نقله:

«مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»)[1].

وصححه الإمام المقبلي والأمير الصنعاني كما يظهر.

قال الإمام المقبلي في (نجاح الطالب في شرح مختصر ابن الحاجب): (إن أهل البيت والكتاب لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض قد تواترت معنى ويشهد له حديث مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق).

١ ـ نقله عنه الأمير الصنعاني في كتابه: دون اعتراض منه عليه مما يعني موافقته[2].

وقد روى هذا الحديث حتّى القرن الرابع عشر أكثر من مائة وخمسين عالماً من علماء أهل السنة.

---

(١) راجع؛ خلاصة العبقات: ص٢٤٧.

(٢) إجابة السائل شرح بغية الآمل للصنعاني: ج١، ص١٥٥ ـ ١٥٦.

ودلالة الحديث لا تخفى على أحد في وجوب اتباع أهل البيت عليهم السلام لتحصيل النجاة.

حديث الأمان

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»[(١)].

قال المناوي في شرح الحديث: (شبههم بنجوم السماء وهي التي يقع بها الاهتداء وهي الطوالع والغوارب والسيارات والثابتات فكذلك بهم الاقتداء وبهم الأمان من الهلاك قال الحكيم الترمذي: أهل بيته هنا من خلفه على منهاجه من بعده وهم الصديقون وهم الإبدال)[(٢)].

---

(١) مستدرك الحاكم: ج٣، ص١٤٩، قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ الصواعق المحرقة لابن حجر: ص٩١ وص١٤٠، وصححه مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩، ص١٤٧.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي: ج٦، ص٣٨٦.

وقال الإمام المقبلي: (وكذا أخرج أحمد حديث النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة اختلفوا فصاروا حزب إبليس) قال: (ومن أنصف علم أن هذا الدليل أقوى من أدلة إجماع الأمة بمراتب).

ونقله عنه الأمير الصنعاني في كتابه: دون اعتراض منه عليه مما يعني موافقته له في الاحتجاج به[١].

فتبين أن هذا الحديث صريح في أنّ أهل البيت (عليهم السلام) أمان الأمة من الاختلاف.

نصوص قرآنية

ثم أورثنا

قال تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾[٢].

---

(١) إجابة السائل شرح بغية الآمل: ج١، ص١٥٥ ـ ١٥٦.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

تشير الآية الكريمة إلى أن الله أورث الكتاب ـ القرآن الكريم ـ أناسا اصطفاهم واستخلصهم من عباده، ثم قسم الله عز وجل عباده بعد أن اصطفى منهم صفوته إلى: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، وقد ذهب بعيدا من قال إن الأصناف الثلاثة المذكورة بالآية هم المصطفون، قال الفخر الرازي في (قسم المصطفين إلى الظالم والمقتصد والسابق، لأنا نقول: الضمير في قوله (فمنهم) عائد إلى قوله (من عبادنا) لا إلى قوله (الذين اصطفينا) لأن عود الضمير إلى أقرب المذكورين واجب)[1].

إن ما ذكره من وجوب عود الضمير إلى أقرب المذكورين صحيح، ولكن يرد عليه أنه كيف يكون الظالم مصطفى؟ وكيف يكون وارثا للكتاب مع جزمنا بجهله بكثير من حقائقه؟ إن الضمير (فمنهم) يعود إلى عبادنا فعلا لكن رجوعه إلى بقية أصناف العباد، فبعد أن ذكر الله المصطفين الذين أورثهم علم الكتاب، قسم سائر عباده إلى الأصناف الثلاثة المذكورة.

والآية هذه كقوله تعالى:

---

(١) عصمة الأنبياء للفخر الرازي: ص١٢.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[١].

وذهب ابن كثير في تفسيره إلى أن المصطفين هم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا لا يستقيم، فكيف يصطفي الله جميع الأمة ثم يدخل قسما كبيرا منهم النار؟ فهل النار مكان للمصطفين؟[٢].

فلا يبقى إلا أن نقول إن المصطفين هم أناس خاصون أكرمهم الله وأورثهم علم الكتاب، حيث يدركون دقائقه ومعارفه ولا يخفى عليهم شيء من كنوزه، وإذا عرفنا أن رسول الله قد قرن عترته بالكتاب وأكد أنهما لا يفترقان عن بعض، سيتبين لنا أنهم هم الذين ورثوا علم الكتاب!

ويؤكد هذا ما روى مسلم: (عن أبي عمار شداد انه سمع واثلة ابن الأسقع يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى

---

(١) سورة حديد، الآية: ٢٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ج٣، ص٥٦٣.

قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»)[(١)].

فانحصر الاصطفاء هنا ببني هاشم دون قريش، ثم خص النبي صلى الله عليه وآله وسلم عترته من دون بني هاشم وجعلهم قرناء القرآن، فتبين من هذا أنهم هم المصطفون الذين ورثوا علم الكتاب.

مجموعة آيات

قال تعالى:

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ...﴾[(٢)].

وحبل الله فسّرته الروايات بآل البيت عليهم السلام[(٣)].

وقد أمر الله الأمة بسؤال أهل الذكر، قال تعالى:

﴿...فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[(٤)].

---

(١) صحيح مسلم للنيسابوري: ج٧، ص٥٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) روح المعاني للآلوسي: ج٤، ص١٦؛ الصواعق المحرقة: ص١٤٩.

(٤) سورة النحل، الآية: ٤٣.

وهم آل البيت عليهم السلام[(١)].

وهم الصادقون الذين أمرنا الله بأن نكون معهم[(٢)]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[(٣)].

وقد وصف الله أتباع هذا الخط بخير البرية فحينما نزل قول الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[(٤)].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا علي هم أنت وشيعتك»[(٥)].

---

(١) راجع: تفسير الطبري: ج١٤، ص١٠٩؛ تفسير ابن كثير: ج٢، ص٥٩١ ـ ٥٩٢؛ تفسير القرطبي: ج١١، ص٢٧٢.

(٢) وراجع: الدر المنثور: ج٣، ص٢٩٠؛ فتح القدير للشوكاني: ج٢، ص٢٩٥؛ روح المعاني: ج١١، ص٤١؛ تذكرة الخواص: ص١٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(٤) سورة البينة، الآية: ٧.

(٥) تفسير الطبري: ج٣، ص١٤٦؛ فتح القدير للشوكاني: ج٥، ص٤٧٧؛ الدر المنثور للسيوطي: ج٦، ص٣٧٩؛ روح المعاني: ج٣٠، ص٢٠٧؛ الصواعق المحرقة لابن حجر: ص٩٦.

مقارنة بين النظريتين

سبق لنا إثبات بطلان النظرية الأولى التي تزعم بترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن محفوظاً في صدور الصحابة وفي بعض الصحف، ونَهْيه عن تدوين السنة، أو قل تركها بلا جمع، لمن يذهب إلى أن حديث النهي قد نسخ.

فلا يمكننا أن نتصور صدور هذا من نبي الله، لأننا نروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

«تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلاّ هالك»[1].

ونفهم من هذا النص أنّ المحجة البيضاء كانت موجودة بالفعل وقت قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذا النص، قبل أن يشير عمر على أبي بكر بجمع القرآن، وقبل أن يأمر عمر بن عبد العزيز ابن حزم بجمع الحديث.

والمحجة البيضاء التي تركهم صلى الله عليه وآله وسلم عليها هي اتِّباع آل البيت عليهم السلام وأخذ الإسلام منهم، لأنّهم أعرف

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٤، ١٢٦.

من غيرهم بالكتاب والسنة.

ولو دققنا النظر في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«تركتكم على المحجة البيضاء...».

وقوله:

«تركت فيكم... كتاب الله وعترتي».

لبان التوافق بينهما، وأن حديث الثقلين يبيّن المقصود بالمحجة البيضاء، ففي كلا الحديثين يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «تركت...».

ويستحيل أن يترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس على طريقين مختلفين، فالمحجة البيضاء هي اتّباع الكتاب والعترة!

كما أن آخر حديث المحجة:

«لا يزيغ عنها إلاّ هالك».

وآخر حديث السفينة:

«ومن تخلف عنها هلك».

فكلمتا (هالك) و(هلك) في الحديثين تبيّنان المقصود

بالمحجة البيضاء، وهي ركوب سفينة آل البيت عليهم السلام والنجاة بهديهم من مهلكة الضلالة، فمن لم يسر على المحجة البيضاء هالك كما أنّ من عدل عن سفينة آل محمّد هلك!

والرواية التالية تلقي مزيداً من الضوء على المحجة البيضاء:

عن جابر قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطاً فقال:

«هذا سبيل».

ثم خط خططاً فقال:

«هذه سبل الشيطان فما منها سبيل إلاّ عليها شيطان يدعو الناس إليه، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأُجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله عز وجلّ فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن تركه وأخطأه كان على الضلالة، وأهل بيتي أذكركم الله عزّ وجلّ في أهل بيتي».

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ...﴾[(١)][(٢)].

ولو قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث المحجة مع عدم جمعه للكتاب والسنة وعدم إرجاع الناس إلى شخص ينطق بحكم الله الواقعي لكان ـ حاشاه ـ كحال أستاذ قال لتلاميذه ـ بعد أن أطفأ أنوار غرفة الدرس وتركها مظلمة ـ سأترككم في هذه الغرفة التي ظلامها كنورها ومن يرسب في الامتحان فهو هالك!

كيف سيجيب هؤلاء التلاميذ على أسئلة الامتحان وهم لا يرون أكفّهم؟ ونحن مسلمي هذا القرن، كيف سنصلي، نصوم، نحج... مع عدم وجود دليل لنا؟

لقد جعل الله للإنسان الحاجب والرموش لحماية عينيه وهذه من الأمور البسيطة جداً إذا ما قيست بضرورة وجود حجة لله سبحانه على خلقه يبين لهم تعاليم الإسلام، فهل يعقل أن يجعل الله لنا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) قال أحمد سعد حمدان: رواه أحمد: ج١، ص٨٧؛ الفتح الرباني، والمروزي في السنة: برقم٦؛ ورواه ابن ماجة موجزاً وابن أبي عاصم في السنة موجزاً: برقم١٦؛ وصحّح الألباني هذا الحديث، فراجع شرح أصول اعتقاد أهل السنة لأبي القاسم الطبري، تحقيق أحمد سعد حمدان.

حاجباً ورموشاً لحفظ عيوننا، ولا يضع لنا دليلاً على دينه!

ولذلك لا نجد مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«تركتكم على المحجة البيضاء ....».

إلاّ في مدرسة آل البيت عليهم السلام.

فالكتاب والسنة مدوّنان، ويتجسّدان في سلوك أئمة آل البيت عليهم السلام وأقوالهم، والإسلام حي يمارس عملياً أمام الناس، فيكون أدعى للفهم والقبول لوجود الشخصية الإسلامية النموذجية الماثلة أمامهم في الحياة اليومية. وبهذا يعرف الناس الإسلام من هؤلاء الأئمة عليهم السلام، بدلاً من النظر في كتب الحديث والرجال والأصول... وبدلاً من أن يدب الخلاف بين أبناء الإسلام ويكفّر بعضهم بعضاً، ويقتتلون كما يجري الآن وجرى عبر التاريخ.

فترى فقيهاً يقول: الحكم في هذه المسألة كذا والدليل هذه الآية، وآخر يقول: بل الحكم كذا والآية نفسها تؤيدني، حتّى أنّ الخلاف وصل بين فقهاء السنة إلى وحدة الأصول الفقهية وأصالتها، فهذا يقول بحجية القياس، وأهل الظاهر أنكروه، وأجاز مالك بن أنس الاستحسان، وقال الشافعي: (من استحسن فقد شرّع)...، حتّى جعلوا

الإسلام حيص بيص، فكل واحد يقول دليلي من الكتاب والسنة.

فبدلاً من هذا كله، وبدلا من أن يصبح الإسلام الذي جاء رحمة للعالمين ـ والذي يعبر عن حكم واقعي واحد ـ مذاهب وأحزاباً، يعادي بعضها البعض.. جعل الله حججاً على خلقه، أئمّة هداة، لا يصعب علينا أن نأخذ الإسلام صافياً منهم، دون الخوض في الكتب المختلفة، وبعيداً عن هذه التعقيدات التي توهن المسلمين وترجعهم إلى الوراء.

يقول الأستاذ عبد الوهاب خلاّف: (مما لا يعرف فيه خلاف بين جمهور المسلمين، أنّ الله سبحانه لم يترك الناس سدى، وأنّ له حكماً في كل ما يحدث للمسلم من الوقائع، غير أنه سبحانه لحكمة بالغة لم ينص على كل أحكامه في مواد قانونية جامعة)[١].

لا ندري كيف اتفقت كلمة جمهور المسلمين على عدم ترك الله عباده سدى، مع ما هو موجود عندهم من ترك الله لكتابه مفرّقاً، ونهيه عن تدوين السنة على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وعدم وضعه مرجعية تزود الناس بحاجاتهم المستجدة؟!

---

(١) مصادر التشريع فيما لا نص فيه: برقم ٨.

والعجيب قوله: (أنه سبحانه لحكمة بالغة لم ينص على كل أحكامه في مواد قانونية جامعة)!

فهل الحكمة في أن ينص الله على كل أحكامه، ليطمئن المسلم إلى حكم الله، وتستقيم تربيته التشريعية؟ أم الحكمة في ترك أحكامه للاجتهاد المبني على الظن، الذي يؤدي إلى تعدد الآراء والمذاهب والقتال والتكفير فيما بين أتباعها؟!

نعم هذه هي الحكمة التي أشار إليها الأستاذ خلاف، ولا يوجد غيرها وقد عاشها المسلمون، وما زالوا يعيشونها من تكفير لبعضهم البعض، وأنا أجزم أنّ انقسام هذه الأمة إلى فرق ومذاهب لم يحدث إلاّ بسبب إقصاء النخبة التي تمثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن مواقعهم التي خَصَّهم الله سبحانه بها، فلو بقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيّاً إلى يوم القيامة مع طاعة الناس له لما حدث أي انقسام أو خلاف بينهم، وهكذا لو أطاع الناس خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من آل بيته عليهم السلام لما تمزقت أمته صلى الله عليه وآله وسلم شيعاً متنافرة في دينه الذي جاء ليؤلف بين قلوب الناس وليس لتشتيتهم.

مناظرة هشام

أتى رجل من أهل الشام ليناظر الإمام الصادق عليه السلام وأصحابه، فتصدى له هشام بن الحكم ـ تلميذ الإمام الصادق ـ فقال له: (يا هذا أربّك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم؟

فقال الشامي: بل ربي أنظر لخلقه.

قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟

قال: أقام لهم دليلاً كي لا يتشتتوا أو يختلفوا، يتألفهم ويقيم أودهم ويخبرهم بفرض ربهم.

قال: فمن هو؟

قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال هشام: فبعد رسول الله؟

قال: الكتاب والسنة.

قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنّا؟

قال الشامي: نعم.

قال: فلم اختلفنا أنا وأنت وصرتَ إلينا من الشام في مخالفتنا إياك؟

فسكت الشامي.

فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«مالك لا تتكلم؟».

قال الشامي: إن قلتُ: لم نختلف كذبتُ، وإن قلتُ: إنّ الكتاب والسنة يرفعان عنّا الاختلاف أبطلتُ لأنهما يحتملان الوجوه، وإن قلتُ: قد اختلفنا وكل واحد منّا يدعي الحق فلم ينفعنا إذن الكتاب والسنة، إلاّ أنّ لي على هذا حجة.

فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«سله تجده ملياً».

فقال الشامي: يا هذا من أنظر للخلق أربهم أم أنفسهم؟

فقال هشام: ربّهم أنظر لهم منهم لأنفسهم.

فقال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم ويقيم أودهم ويخبرهم بحقهم من باطلهم؟

قال هشام: نعم.

قال الشامي: من هو؟

قال هشام: أمّا في ابتداء الشريعة فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما بعد النبي فعترته...)[(١)].

وقال هشام بن الحكم لأحد خصومه الذين ينكرون وجود مبيّن للإسلام: (أتقول أن الله عدل لا يجور؟

قال: نعم هو عدل لا يجور.

قال هشام: فلو كلّف الله المقعد المشي إلى المساجد والجهاد في سبيل الله، وكلّف الأعمى قراءة المصحف والكتب، أتراه كان عادلاً؟

قال: ما كان الله ليفعل ذلك.

قال هشام: علمت أنّ الله لا يفعل ذلك، ولكن على سبيل الجدل والخصومة أن لو فعل ذلك أليس كان في فعله جائراً إذا كان تكليفاً لا يكون السبيل إلى إقامته وإقامة أدامه؟

قال: لو فعل ذلك لكان جائراً.

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٢٧٧ ـ ٢٨١.

قال هشام: فأخبرني عن الله عزّ وجلّ كلّف العباد ديناً واحداً لا اختلاف فيه، ولم يقبل إلاّ أن يأتوا به كما كلّفهم؟ فجعل لهم دليلاً على وجود ذلك الدين؟ أو كلفهم ما لا دليل لهم على وجوده، فيكون بمنزلة من كلف الأعمى قراءة المصحف والكتب والمقعد المشي إلى الجهاد والمساجد؟

فسكت خصمه ساعة ثمّ قال: لا بدّ من دليل، وليس بصاحبك.

فتبسّم هشام وقال: تشيّع شطرك وصرت إلى الحق ضرورة، ولا خلاف بيني وبينك إلاّ في التسمية)[١].

نعم لقد أخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بافتراق أُمته ثلاثاً وسبعين فرقة، واحدة منها في الجنة، فهل كان يعلم هذا ولا يضع دليلاً على دين الله الصحيح؟

إن قيل: الكتاب والسنة هما الدليل.

قلنا: الكتاب والسنة مدعاة للاختلاف لاختلاف العقول في فهمهما، ونحن نريد المقصود الشرعي، وهو واحد لا يتعدد، إضافة إلى أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ربط بين الكتاب وآل بيته

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٣٦٥.

عليهم السلام ولذلك يلزمنا الجمع بينهما.

وإن قيل: الأشعري والمذاهب الأربعة.

قلنا: وأي عقيدة للأشعري تقصدون؟ أعقيدة المعتزلة أم الأشاعرة أم أهل الحديث؟ ولا أحد من الأئمة الأربعة كان قد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسمع منه، وقد نهوا الناس عن تقليدهم(١).

إنّ ترك الأمة دون مبيّن للشرع، يدل على قصور النظام الإسلامي، فالفقهاء كانوا يطرحون مسائل لم تقع، ويجتهدون في معرفة أحكامها، واشتهر الفقه الحنفي بالفقه الافتراضي، فهل هؤلاء الفقهاء أكمل وأبعد نظراً من التشريع الإلهي؟!

يقول الإمام علي عليه السلام:

«اللهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مستوراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته»(٢).

---

(١) وهذا أثبتناه فراجع: وركبت السفينة: ص٢٩ ـ ٣٦.

(٢) ينابيع المودة، في الباب المائة: ص٥٢٣؛ إحياء علوم الدين: ج١، ص٥٤؛ حلية الأولياء بإيجاز: ج١، ص٨؛ وقريب منه في مؤلفات محمد بن عبد الوهاب: ج٣، ص٣٢، نقلاً عن إعلام الموقعين لابن القيم.

حوار آخر

قال هشام بن الحكم لأحد العلماء الذين ينكرون وجود الإمام: (ألك عين؟

قال: يا بني أي شيء هذا السؤال؟

فقال: هذه مسألتي.

قال: سل وإن كانت مسألتك حمقاء.

قال: أجبني فيها.

فقال: سل.

فقال: ألك عين؟

قال: نعم.

قال: فما تصنع بها؟

قال: أرى الألوان والأشخاص.

قال: ألك أنف؟

قال: نعم.

قال: فما تصنع به؟

قال: أشم به الرائحة.

قال: ألك لسان؟

قال: نعم.

قال: فما تصنع به؟

قال: أتكلم به.

قال: ألك أذن؟

قال: نعم.

قال: ما تصنع بها؟

قال: أسمع بها الأصوات.

قال: ألك يدان؟

قال: نعم.

قال: فما تصنع بهما؟

قال: أبطش بهما وأعرف اللين من الخشن.

قال: ألك رجلان؟

قال: نعم.

قال: فما تصنع بهما؟

قال أنتقل بهما من مكان إلى مكان.

قال: ألك فم؟

قال: نعم.

قال: فما تصنع به؟

قال: أعرف به المطاعم والمشارب على اختلافها.

قال: ألك قلب؟

قال: نعم.

قال: فما تصنع به؟

فقال: أميز به كل ما ورد على هذه الجوارح.

قال: أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟

قال: لا.

قال: وكيف ذاك وهي صحيحة سليمة؟

قال: يا بني إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته ردّته إلى القلب فيتيقنّ بها اليقين ويبطل الشك.

قال: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟

قال: نعم.

قال: إن الله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح وينفي ما شكّت فيه، ويترك هذا الخلق كله في حيرتهم وشكِّهم واختلافهم لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك...؟!!)[1].

النتيجة

إن الله لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حتّى أكمل على يديه الدين وأتم النعمة وذلك بجعل آل البيت عليهم السلام خلفاء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في القيادة والتبليغ، فكما يختار الله الأنبياء كذلك يختار أوصياءهم، وكما يحتاج الناس للنبي، يحتاجون للإمام، ولا يعقل أن يترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دينه دون مرجع يبينه للناس.

المدرسة الأولى تقول: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهمل أمر المرجعية بعده فلم يجعل للأجيال إلاّ قرآناً مفرقاً في

---

(١) الأصول من الكافي: ج١، ص١٦٩ ـ ١٧١.

الصحف والصدور.

والمدرسة الثانية تقول بجمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن والسنة، وأقام بأمر الله تعالى الأئمة الأطهار ترجماناً لهما.

إن من يقف متأملاً بين النظريتين السابقتين لمستقبل الدعوة، فإنه سيهتدي إلى الحقيقة:

فالنظرية الأولى ترى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد ثلاث وعشرين سنة من الجهاد وتحمل الأذى والصعاب لنشر دينه، ترك معجزته الخالدة مفرقة، ونهى عن تدوين سنته المبينة للقرآن، والتي لا يستغنى عنها، وهو يعلم بحاجة الناس إليها، ولم يشر للمستجدات وكيفية التعامل معها...

هذا ما وجدته في النظرية الأولى، وأي منصف يتأملها جيداً سيجد نفس الشيء، وأي محاولة تبريرية لهذه الحقيقة فهي فاشلة، وتغطية على الواقع.

هذا من جانب، ومن جانب آخر لا نرى على المدرسة الشيعية أي مؤاخذة في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهو ذلك القائد البصير الذي نظر للأمد البعيد فلم يترك الأمر بعده مهملاً فارغاً بل

رتّبه أروع ترتيب، فالكتاب والسنة مدونان، ولحسم الخلاف في فهمهما جعل ناطقاً عنهما لا يخلو منه زمن.

إنّ الفكر الذي يقدم هذه الأطروحات لصيانة الإسلام من التحريف وإدامته، لهو فكر عظيم، فلا يمتلك المرء إلاّ أن ينحني أمامه، وبهذا التصوّر نرى المفارقة العجيبة بين النظريتين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصل اللهم على محمّد وآله الطاهرين.

المصادر

١ . القرآن الكريم.

(أ)

٢ . إجابة السائل شرح بغية الآمل / تأليف: الأمير الصنعاني محمد بن إسماعيل (ت١١٨٢هـ) / تحقيق ومراجعة: القاضي حسين بن أحمد السياغي والدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل / طبع ونشر: مؤسسة الرسالة لسنة ١٩٨٦م، الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٣ ـ الاحتجاج على أهل اللجاج / تأليف: الطبرسي أحمد بن على بن أبي طالب، من أعلام القرن السادس، طبع ونشر: انتشارات أسوة لسنة ١٤١٣هـ / الطبعة الأولى / قم المقدسة ـ إيران.

٤ ـ الأحكام في أصول الأحكام / تأليف: ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) / طبع ونشر: دار الجيل لسنة ١٤٠٧هـ / الطبعة الثانية / بيروت ـ لبنان.

٥ ـ إحياء علوم الدين / تأليف: أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) / طبع

ونشر: دار الهادي / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٦ ـ الأصول من الكافي / تأليف: محمد بن يعقوب الكليني / طبع ونشر: دار الأضواء لسنة ١٩٨٠م / بيروت ـ لبنان.

٧ ـ أضواء على السنة المحمدية / تأليف: محمود أبو ريّة طبع ونشر: نشر البطحاء / الطبعة الخامسة.

٨ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين / تأليف: ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت٧٥١هـ) / تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم / طبع ونشر: دار الكتب العلمية لسنة ١٤١١هـ / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

(ب)

٩ ـ بصائر الدرجات / تأليف: أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت٢٩٠هـ) / طبع ونشر: مطبعة الأحمدي لسنة ١٤٠٤هـ / طهران ـ إيران.

(ت)

١٠ ـ تاريخ التشريع الإسلامي / تأليف: الدكتور عبد الهادي الفضلي.

١١ ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي / تأليف: السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت٩١١هـ) / تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي / طبع ونشر: دار طيبة.

١٢ ـ تدوين السنة الشريفة / تأليف: محمد رضا الحسيني الجلالي /

الطبعة الأولى لسنة ١٤١٣هـ.

١٣ ـ تدوين السنة: إبراهيم فوزي.

١٤ ـ تذكرة الحفاظ، الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨ هـ) دار إحياء التراث العربي.

١٥ ـ تفسير ابن كثير: أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت / ٧٧٤ هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م.

١٦ ـ تفسير الطبري / تأليف: ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) / طبع ونشر: دار المعرفة / بيروت ـ لبنان.

١٧ ـ تفسير المنار / تأليف: محمد رشيد رضا / طبع نشر: دار المعرفة / بيروت ـ لبنان.

١٨ ـ تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ) / طبع ونشر: دار المعرفة لسنة ١٣٩٠هـ / الطبعة الثانية / بيروت ـ لبنان.

١٩ ـ التسهيل إلى علوم التنزيل / تأليف: ابن جزي (ت٧٤١هـ) / طبع ونشر: دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان.

٢٠ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد / تأليف: أبي عمر ابن عبد البر الأندلسي (ت٤٦٣هـ).

٢١ ـ التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين / تأليف: البطليوسي.

٢٢ ـ تهذيب التهذيب / تأليف: ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد ابن علي (ت٨٥٢هـ) / طبع ونشر: دار الفكر لسنة ١٤٠٤هـ / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٢٣ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال / تأليف: يوسف جمال الدين المزي (ت٧٤١هـ) / طبع ونشر: مؤسسة الرسالة / بيروت ـ لبنان.

(ح)

٢٤ ـ حديث الثقلين تواتره فقهه / تأليف: علي الحسيني الميلاني.

٢٥ ـ حلية الأولياء / تأليف: أبي نعيم الأصفهاني (ت٤٣٠هـ) / طبع ونشر: دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان.

(د)

٢٦ ـ الدر المنثور / تأليف: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) / طبع ونشر: دار الفكر لسنة ١٩٨٣م / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

(ر)

٢٧ ـ روح المعاني / تأليف: الآلوسي / طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي / بيروت ـ لبنان.

(ز)

٢٨ ـ الزهرة العطرة في حديث العترة / تأليف: أبو المنذر سامي المصري.

(س)

٢٩ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة / تأليف: محمد ناصر الدين الألباني / طبع ونشر: المكتب الإسلامي لسنة ١٩٨٥م / الطبعة الرابعة / بيروت ـ لبنان.

٣٠ ـ السنة / تأليف: ابن أبي عاصم أبي بكر عمرو الضحاك بن مخلد الشيباني (ت٢٨٧هـ) / تخريج: محمد ناصر الدين الألباني / طبع ونشر: المكتب الإسلامي لسنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م / الطبعة الثالثة / بيروت ـ لبنان.

٣١ ـ سنن الترمذي / تأليف: الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ) / تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف / طبع ونشر: دار الفكر لسنة ١٤٠٣هـ / بيروت ـ لبنان.

٣٢ ـ السنن الكبرى / تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ) / تأليف: دار الفكر / بيروت ـ لبنان.

٣٣ ـ سيرة ابن إسحاق / تأليف: محمد بن إسحاق بن يسار(ت١٥١هـ) / تحقيق: الدكتور سهيل زكار.

(ش)

٣٤ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / تأليف: أبي القاسم الطبري اللالكائي / تحقيق: أحمد سعد حمدان.

(ص)

٣٥ ــ صحيح البخاري / تأليف: أبي عبد الله إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) / طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي / بيروت ـ لبنان.

٣٦ ـ صحيح صفة صلاة النبي / تأليف: الحسن بن علي السقاف / طبع: دار الإمام النووي لسنة ١٩٩٣م / الطبعة الأولى / عمان ـ الأردن.

٣٧ ـ صحيح مسلم / تأليف: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ) / دار الفكر / بيروت ـ لبنان.

٣٨ ــ الصواعق المحرقة / تأليف: ابن حجر الهيثمي (ت٩٧٤هـ) / تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف / طبع ونشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة / القاهرة ـ مصر.

(ع)

٣٩ ـ عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار / تأليف: مير سيّد حامد حسين الموسوي (ت١٣٠٦هـ).

٤٠ ـ عصمة الأنبياء / تأليف: فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ).

٤١ ــ عقائد أئمة السلف / اعتنى به: فواز احمد زمرلي / طبع ونشر: دار الكتاب العربي لسنة ١٤١٥هـ، الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

(غ)

٤٢ ــ الغيلانيات / تأليف: أبو بكر الشافعي / طبع ونشر: دار ابن الجوزي لسنة ١٤١٧هـ / الطبعة الأولى / المملكة العربية السعودية.

(ف)

٤٣ ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري / تأليف: ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) / طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي لسنة ١٤٠٢هـ / الطبعة الثانية / بيروت ـ لبنان.

٤٤ ـ فتح القدير / تأليف: محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) / طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي.

٤٥ ـ فقه الآل بين دعوى الإهمال وتهمة الانتحال / تأليف: الشيخ أمين ابن صالح هران الحداء / طبع ونشر: دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٦ ـ فهرست أسماء مصنفي الشيعة المشتهر برجال النجاشي / تأليف: النجاشي أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي (ت ٤٥٠هـ) / طبع ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة لسنة ١٤١٦هـ / الطبعة الخامسة / قم ـ إيران.

٤٧ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير / تأليف: المناوي محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ) / ضبط وتصحيح: احمد عبد السلام / طبع ونشر: دار الكتب العلمية لسنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

(ك)

٤٨ ـ الكافي، الكليني أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩هـ) / تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري / طبع ونشر: دار الكتب الإسلامية / طهران ـ إيران.

٤٩ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / تأليف: حاجي خليفة / طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي / بيروت ـ لبنان.

٥٠ ـ كمال الدين وتمام النعمة / تأليف: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) / تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري / طبع ونشر: سنة ١٤٠٥هـ / قم المقدسة ـ إيران.

(ل)

٥١ ـ لسان العرب / تأليف: ابن منظور (ت ٧١١هـ) / طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي لسنة ١٩٩٥م / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٥٢ ـ لسان الميزان / تأليف: ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) / طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي لسنة ١٤١٦هـ / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

(م)

٥٣ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / تأليف: أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) / طبع ونشر: دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان.

٥٤ ـ مجموعة الفتاوى / تأليف: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني (ت

٧٢٨هـ) / تخريج الأحاديث: عامر الجزار وأنور البار/ طبع ونشر: دار الوفاء لسنة ١٩٩٧م / الطبعة الأولى / الرياض ـ المملكة العربية السعودية، وطبعة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

٥٥ ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي / تأليف: الرامهرمزي (ت حدود ٣٦٠هـ) تحقيق: عجاج الخطيب.

٥٦ ـ المراجعات / تأليف: عبد الحسين شرف الدين (ت ١٣٧٧هـ) / تحقيق: الشيخ حسين الراضي / طبع ونشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

٥٧ ـ المستدرك على الصحيحين / تأليف: أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) / طبع ونشر: دار المعرفة / بيروت ـ لبنان.

٥٨ ـ مسند أحمد / تأليف: أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) / طبع ونشر: دار صادر / بيروت ـ لبنان.

٥٩ ـ مسند زيد بن علي / تأليف: زيد بن علي بن الحسين عليه السلام / طبع ونشر: منشورات دار مكتبة الحياة / بيروت ـ لبنان.

٦٠ ـ المعجم الكبير / تأليف: الحافظ أبي القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ) / طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي / بيروت ـ لبنان.

٦١ ـ مقدمة ابن الصلاح / تأليف: ابن الصلاح / تحقيق: الدكتورة عائشة عبد الرحمن / طبع ونشر: دار الكتب / القاهرة ـ مصر.

٦٢ ـ منهاج السنة النبوية / تأليف: أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) / طبع ونشر: دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان.

٦٣ ـ الموطأ / تأليف: مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) / طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي / بيروت ـ لبنان.

٦٤ ـ مؤلفات محمد بن عبد الوهاب.

٦٥ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال / تأليف: شمس الدين الذهبي / طبع ونشر: دار المعرفة / بيروت ـ لبنان.

(ن)

٦٦ ـ نحو الإسلام الأصيل / تأليف: مروان خليفات / طبع ونشر: مؤسسة الثقلين لسنة ١٩٩٨م / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٦٧ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر / تأليف: مجد الدين ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ).

(و)

٦٨ ـ الوافي / تأليف: الفيض الكاشاني.

٦٩ ـ وركبت السفينة / تأليف: مروان خليفات / طبع ونشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية لسنة ١٩٩٧م / الطبعة الأولى.

٧٠ ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة / تأليف: محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ) / طبع ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

المحتويات

النظرية الثانية

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني

١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١ ـ ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ثلاثة أجزاء	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمد جواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني

٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبد الكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمد علي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة ـ ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني

٥٣	السبط الشهيد – البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبد الستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبد السادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية – طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة	السيد نبيل الحسني
٦١	ابكِ فانك على حق – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم – طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٦٣	ثقافة العيد والعيدية – طبعة ثالثة	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسر الصالحي
٦٥	تكسير الأصنام - بين تصريح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني
٦٦	رسالة في فن الإلقاء - طبعة ثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	حسين النصراوي
٦٩	شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق	السيد عبد الوهاب الأسترآبادي
٧٠	صلاة الجمعة– تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧١	الطفيات - المقولة والإجراء النقدي	د. علي كاظم المصلاوي
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي

٧٣	الجمال في عاشوراء - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٤	سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٥	اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٧٦	المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟	السيد نبيل الحسني
٧٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٨	ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٩	علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة	صباح عباس حسن الساعدي
٨٠	الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء	الدكتور مهدي حسين التميمي
٨١	شهيد باخمرى	ظافر عبيس الجياشي
٨٢	العباس بن علي عليهما السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٣	خادم الإمام الحسين عليه السلام شريك الملائكة	الشيخ علي الفتلاوي
٨٤	مسلم بن عقيل عليه السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٥	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) — الطبعة الثانية	السيد محمدحسين الطباطبائي
٨٦	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٧	المجاب برد السلام - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٨	كامل الزيارات باللغة الانكليزية (Kamiluz Ziyaraat)	ابن قولويه
٨٩	Inquiries About Shi‘a Islam	السيد مصطفى القزويني

٩٠	When Power and Piety Collide	السيد مصطفى القزويني
٩١	Discovering Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٢	دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني	د. صباح عباس عنوز
٩٣	القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام	حاتم جاسم عزيز السعدي
٩٤	قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ حسن الشمري الحائري
٩٥	تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء	الشيخ وسام البلداوي
٩٦	الشهاب الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام	الشيخ محمد شريف الشيرواني
٩٧	سيد العبيد جون بن حوي	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٨	حديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٩	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الطبعة الثانية ـ	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٠	هذه فاطمة عليها السلام – ثمانية أجزاء	السيد نبيل الحسني
١٠١	وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته	السيد نبيل الحسني
١٠٢	الأربعون حديثا في الفضائل والمناقب- اسعد بن إبراهيم الحلي	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٣	الجعفريات – جزآن	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٤	نوادر الأخبار – جزآن	تحقيق: حامد رحمان الطائي
١٠٥	تنبيه الخواطر ونزهة النواظر – ثلاثة أجزاء	تحقيق: محمد باسم مال الله
١٠٦	الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي الحديث	د. علي حسين يوسف
١٠٧	This Is My Faith	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٨	الشفاء في نظم حديث الكساء	حسين عبدالسيد النصار

١٠٩	قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه	حسن هادي مجيد العوادي
١١٠	آية الوضوء وإشكالية الدلالة	السيد علي الشهرستاني
١١١	عارفاً بحقكم	السيد علي الشهرستاني
١١٢	شمس الإمامة وراء سحب الغيب	السيد الموسوي
١١٣	Ziyarat Imam Hussain	إعداد: صفوان جمال الدين
١١٤	البشارة لطالب الاستخارة للشيخ احمد بن صالح الدرازي	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٥	النكت البديعة في تحقيق الشيعة للشيخ سليمان البحراني	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٦	شرح حديث حبنا أهل البيت يكفر الذنوب للشيخ علي بن عبد الله الستري البحراني	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٧	منهاج الحق واليقين في تفضيل علي أمير المؤمنين للسيد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٨	قواعد المرام في علم الكلام، تصنيف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني	تحقيق: أنمار معاد المظفر
١١٩	حياة الأرواح ومشكاة المصباح للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي	تحقيق: باسم محمد مال الله الأسدي
١٢٠	باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة	السيد نبيل الحسني
١٢١	تربة الحسين عليه السلام وتحولها إلى دم عبيط في كربلاء	السيد علي الشهرستاني
١٢٢	يتيم عاشوراء من أنصار كربلاء	ميثاق عباس الحلي
١٢٣	المختصر المسطور لكتاب شفاء الصدور في شرح زيارة عاشور	علي حسان شويليه

١٢٤	نثر الإمام الحسين عليه السلام	د. حيدر محمود الجديع
١٢٥	قرة العين في صلاة الليل	الشيخ ميثاق عباس الخفاجي
١٢٦	من المسيح العائد إلى الحسين الثائر	أنطوان بارا
١٢٧	ظاهرة الاستقلاب في عرض النص النبوي والتاريخ	السيد نبيل الحسني
١٢٨	الإستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء: بين تفكير الجند وتجنيد الفكر	السيد نبيل الحسني